الفصل الحادي عشر

الطريق عبر الجبال

في اليوم التالي- في السابع عشر من نوفمبر- بدأنا عملية تسلق الجبال. استعداداً لأي أحداث طارئه، تركت في المحطة ورقة بها كل المعلومات التي تتعلق بالطريق الذي نوينا أن نسلكه داخل الجبال، مرفق معها خطتنا المستقبلية، وما نملكه من معدات، وطعام وشراب،....إلخ. كان الطقس جيداً كالمعتاد، والوقت مناسب للذهاب. فاقت الكلاب كل توقعتنا، حيث أنهم شقوا طريقهم – ببعض الهروله- إلى منحدرين يتميزا بالإنحدار الشديد نوعاً ما. ولقد بدأنا بالاعتقاد أنه لم تكن هناك أيه صعوبة في عدم استطاعتهم تجاوز الخمسة أميال ، أبلت الكلاب بلاءاً حسناً أكثر من اللازم في رحلة هذا اليوم أكثر مما كنا نتخيله أمس، الأن الكلاب قامت بمهامها الكبيرة في وقت أقصر. تحولت الكتل الجليدية الصغيرة المُرتفعة لأعلى ناحيه إلي شكل منحدر نوعاً ما، واضطررنا في بعض الأماكن إلى استخدام زلاجتين للفرق المزدوجة. أما عن الكتل الجليدية، كانت تبدو قديمة جداً، و تبدو أيضاً ثابتة دون حراك. لم نر أي

صدوع جديدة ، بينما الصدوع السابقه كانت تتميز بالضخامة والاتساع، إلا أن الحواف تقوست من كل مكان، رأينا تلك الصدوع الأن ممتلئه كلها تقريباً بالثلج. ولتفادي الوقوع في مثل هذه الصعوبات مرة أخرى في طريق العودة، أقامنا منارات بالشكل الذي يسمح لنا بكشف الخطر بين أي خط واصل بين أي اثنين من تلك المنارات . لم يعد استخدام الملابس الثقيلة (الملابس القطبية) مفيداً وسط هذه التلال، فلم يكن دفء الشمس، العمودية الساطعة، مريح لنا ، فأضطررنا إلى ترك معظم أشيائنا. ومررنا بالعديد من القمم والتي يتراوح ارتفاعها من ٣٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ قدم، لون الثلج الذي يعلو أحد هذه القمم البني- المائل إلى الحمّره.

المسافة التي قطعناها في اليوم الأول حوالي إحدى عشر ميل ونصف، على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم. أقمنا مخيمنا ذلك المساء على كتلة جليدية صغيرة تقع بين صدوع ضخمة،لأن علي ثلاثة جوانب من المخيم توجد قمم شاهقة. عندما قمنا بنصب خيمتنا، قام فريقين بالخروج لاكتشاف الطريق مُسبقاً. الفريق الأول- المكون من ويستنج وهانسن- سلك الطريق الأسهل من الخيمة- أي، مجرى الكتله الجليديه، و التي ارتفعت، في تلك البقعه، إلى ٤٠٠٠ قدم، بينما اختفت في اتجاه الجنوب- الغربي بين أحد القمتين. أما عن الفريق الثاني، كونه بيجالاند. نظر بيجالاند إلى هذا التسلُّق على أنه سهل و بسيط، و بدأ يتسلق من الجزء الأكثر انحداراً بجانب الجبل. وشاهدته حتى اختفى عالياً مثل الذبابة. بعد ذلك إنشغلنا أنا و هاسيل بالأعمال الضرورية التي حول وداخل الخيمة.

بينما نحن جالسين داخل الخيمة نتحدث سوياً، سمعنا فجأة شخص ما يأتي بصوت منخفض نحو الخيمة. نظرنا إلى بعضنا البعض، في حين كان يأتي هذا الشخص بخطي ثابته . لم نشك في معرفه صاحب تلك الخطوات ،بالطبع هو بيجالاند. لابد من أنه قد خرج لاستعادة الذكريات القديمة. وجاء ولديه الكثير ليخبرنا عنه، ومن ضمن الأشياء أخرى، " أروع انحدار" على الجانب الآخر. ولم أكن متأكداً بما يقصده بيجالاند بـ " رائع". فإذا كان يقصد بها أنه رائع كروعة التلسلُّق الذي قام به، إذن كنت سأطلب المعذرة. قد سمعنا الآن الآخرون قادمون، والذين يمكننا سماعهم من مسافة بعيدة. شاهدوا هم أيضاً شيءُ عظيم، ليس " أروع انحدار". لكن كل ما في الأمر اتفق كلا الفريقين علي وجوب نزولنا مرة

أخرى. حيث لاحظ كلاً منهما الأنهار الجليدية الهائلة التي أمتدت أسفلنا من الشرق إلى الغرب. هنا جرت مناقشة مطولة بين الفريقين، فكل فريق يسخر من اكتشافات الفريق الأخر . "نعم، لكن انظر هنا بيجالاند، يمكننا رؤية ذلك حيثما تقف أنت، هناك منحدر شديد"- " أنت لم تران على الإطلاق. أخبرتك أنني كنت ناحية الغرب من القمة التي تقع جنوب تلك القمة"، مللتُ محاولة متابعة هذا النقاش و لم أتحمل أكثر من ذلك. الطريقة التي أختفى بها الفريقين ثم عادوا مرة أخرى جعلتني أقرر بشكل قاطع أن الطريق الذي سنسكله هو الطريق الأخير الذي سلكه الوافدون. شكرتُ هؤلاء الرجال الممتلئين بالحماس على جولتهم المضنية لصالح البعثة، وذهبت فوراً إلى النوم. وأثناء نومي، حلمتُ طوال الليل بالجبال والمنحدرات، واستقيظت على صورة بيجالاند وهي تلوح في الآفق. بينت لهم ثانيه ً بأنني قد أتخذت قراري لصالح الطريق الآخر، وعدت إلى النوم ثانيةً.

دار نقاشنا في الصباح التالي عن أفضليه و إمكانيه أن نأخذ الزلاجات أثنين-أثنين لبدء الرحلة بهم، حيث تبدو الكتله الجليدي التي أمامنا أنها منحدر تماماً و يحتاج إلي فريق مزدوج. بلغ إرتفاع هذه الكتله حوالي ٢٠٠٠قدم على مسافة قصيرة جداً. إلا أننا قررنا البدء أولاً بالفرق المفردة. أثبتت لنا الكلاب أن قدرتها فاقت كثيراً ً توقعتنا، لذلك فمن المحتمل أن يقوموا بنفس المهمه مره أخري. بدأنا التسلّق: مرة واحدة- تمرين رياضي مناسب بعد شراب ربع جالون من الشيكولاتة. لم نكن مسرعين، ولكننا تغلبنا علي الطريق. كان يبدو عادة أن الزلاجة سوف تتوقف، ولكن صيحة السائق و طرقعة السوط الحادة جعلت الكلاب تستمر في السير. وكان ذلك بداية جيدة لليوم، و لكننا تركناهم ليستريحوا و هم فعلاً ً يستحقوا الراحه عن جدارة ، بدأت فتره استراحتم عندما وصلنا إلى أعلى. مضينا عبر الممر الضيق ثم خرجنا إلى الجانب الآخر. ظهر أمامنا مشهد رائع. ومن الممر خرجنا إلى قطعه أرض مسطح صغير جداً، والتي على بُعد عدة أمتار بدأت في الانحدار بشكل حاد إلى أن وصلت لوادي طويل. أما حولنا قمة تتلوها قمه على كل جانب. الأن مضينا و تركنا وراءنا المناظر التي رأيناها ، حيث يتضح لنا اتجاهتنا الأن بشكل أفضل. لقد رأينا الآن الجانب الغربي من الجبل الضخم ناسين:

حيث نسطيع رؤية جبل دون بيدرو كريستوفيرسن بأكمله. بين هذين الجبلين يمكنا متابعة اتجاه الكتله الجليديه والذي بدأ يرتفع في شكل مُدرجات على طول جانبيهم. يبدو ان هذا الكتله الجليدي مفصوله ومُقلقه بشكل مرعب، لكن يمكننا أن نتابع خط صغير يصل بين الصدوع العديدة، حيث رأينا أنه يمكننا الذهاب في هذا الطريق، لكن وجدنا أن هذه الكتله الجليدي تمنعنا من استخدامه على طول مداه. وكان من الواضح أن الثلج بين قطعه الأرض الأولي والثانيه لايمكن السير عليه. هناك حافة غير مفصولة بالأعلى على جانب الجبل، فجبل دون بيدرو سوف يساعدنا على ذلك. في الشمال على طول جبل ناسين لم يكن هناك شيء بإستثناء الفوضى، ومن المستحيل تماماً العبور من خلاله. قمنا بوضع إشاره كبيرة حيثما وقفنا، وحددنا الاتجاهات من حولها بالبوصلة.

ومن هنا كان طريق واحد فقط للنزول، ومن ثم بدأنا نذهب. يجب علينا توخي كل الحذر مع تلك الزلاجات مملوءة، خشية أن تتزايد السرعة إلى درجة أن يفقد الشخص السيطرة على الزلاجة. إذا حدث ذلك، سيكون الوضع خطير، ليس فقط لتأثير ذلك على الكلاب، ولكنها أيضاً سترتطم بالزلاجة التي أمامها وتحطمها. كل ذلك كان هو الأهم في هذا الظرف الذي نحن فيه. حيث حملت مقاييس الزلاجات. لذلك، نضع فرامل من الحبال تحت عندما ننزل أسفل التل. وكان يتم عمل ذلك بطريقة بسيطة جداً عن طريق عمل لفات بسيطه بقطعة رقيقة من الحبل حول كل زلاقه، كلما أكثر الشخص من هذه اللفات ، بالطبع تكون الفرامل أقوى. يكمن فن عمل ذلك في اختيار العدد الصحيح للفات، أو الفرامل الصحيحة، إلا أن ذلك لم يتحقّق دائماً، والنتيجة كانت كما يلي، قبل الوصول إلى نهاية تلك النزولات، يحدث العديد من التصادمات. لدي أحد السائقين، بشكل خاص، إزدراء كبير للفرامل السليمة، حيث أنه كان يسرع مثل وميض الضوء، وكان سيصطدم بالرجل الذي أمامه. ولقد تجنبنا كل ذلك بالتدريب، إلا أنه مرات عديده تبدو لنا الأمور علي غير ما يرام.

نزلنا في المنخفض الأول إلى حوالي ٨٠٠ قدم، بعد ذلك كان علينا عبور جزء أخر صلب وكبير من الوادي قبل بدء التسلّق مرة أخرى. كان الجليد بين الجبلين مفككاً وعميقاً، مما شكل ذلك صعوبه لدي الكلاب أثناء تأديه عملها. وكان التسلّق التالي أعلى كتله جليديه شديد الأنحدار،

وآخرهم كانت الكتله الأكثر انحداراً في الرحلة بكاملها--- كان عملاً قاسياً حتي للفرق المزدوجة المدجه. وكان سباق الكلاب إلى هذه المنحدرات، في رأيي، هو عمل يسعد بيجالاند أكثر مني، لذلك أفسحت له المجال. وكانت الكتله الأولي عبارة عن منحدر، أما الثانيه فكانت تشبه جانب البيت. رائع أن نري بجالاند يستخدم مزلاجته بالأعلى هناك، حيث يمكن الاستنتاج بأنه قد صعد إلى أحد التلال من قبل. وإلا الإثاره كانت أقل عند رؤية الكلاب والسائقين يصعدون لأعلى. وقاد هانسين زلاجة واحدة بمفرده، أما عن ويستنج وهاسيل فقد قادوا الزلاجة الأخرى. مروا بعده هزات، قدم تلو الأخرى، وانتهت بوصولهم إلى القمة. أما عن سباق البدل الثاني (بالتناوب) فمضي بسهوله أكثر في الطرق التي مر بها الأولي.

كنا هنا على ارتفاع يبلغ ٤.٥٥٠ قدم، وفي التسلق الأخير كنا على ارتفاع ١.٢٥٠ قدم، حيث وجدنا أنفسنا على سهل واسع، وبعد أن استراح الكلاب استمرينا في مسيرتنا. الآن، حيث تقدمنا، كان لدينا رؤية أوضح للطريق الذي كنا سنمضي فيه، فمن قبل حجبتنا الجبال الأقرب لنا. ظهرت الكتلة الجليدية الضخمة أمامنا، ممتدة، كما يمكننا أن نرى الآن، إلي أن وصلنا إلي الحد الذي بين الجبال الشاهقة والممتدة بين الشرق والغرب. وكان علينا الوصول إلى السهل الواسع عن طريق هذه الكتلة الجليدية الضخمة، حيث يمكننا أن نرى ذلك. وكان علينا النزول مرة أخرى قبل الوصول إليه، ومن فوقه يمكننا تحديد حواف بعض الفجوات الكبيرة في هذا المنحدر، ووجدنا أنه من الحكمة أن نختبرها اولاً. و كما تخيلنا، وجدنا هناك كتلة جليدية- جانبية قادمة من أعلى، وبها صدوع كبيرة، وسيئة في أماكن عديدة أخري، ولكنها لم تكن سيئة للدرجة منعنا من وصولنا النهائي، مع الحذر واستخدام فرامل جيدة، وصلنا إلي الحقل الجليد الرئيسي الكبير— و هو كتلة أليكس هيبرج الجليدية.

وكانت الخطة التي قد اقترحناها على أنفسنا هي أن نسلك الطريق الذي به نصل إلي المكان الذي ظهرت فيه الكتلة الجليدية على شكل طبقات غير متوقعة بين الجبلين. إلا أن المهمة كانت أكبر مما اعتقدنا. في المقام الأول، كانت المسافة ثلاث مرات أكبر مما كان يعتقد أيّاً منا، و ثانياً، كان الثلج مفككاً وعميق جداً بحيث أنه سيكون عملاً شاقاً للكلاب بعد كل المجهود الذي بذلوه سابقاً. كان طريقنا على طول الخط الأبيض الذي

تمكنا من السير عليه من بين الصدوع العديدة وصولاً إلى المنطقه (المدرج) الأولي. تراجع رافد الكتل الجليدية هنا على كل جوانب الجبال والتصق بالرافد الرئيسي، حيث كان أحد الفروع الصغيرة العديدة التي وصلنا إليها ذلك المساء، مباشرةً تحت جبل دون بيدرو كرستوفيرسن.

ولقد غُطي الجبل ،الذي أقامنا مخيمنا أسفله، كتل ثلجية ضخمة مختلطة. كانت الكتلة الجليدية التي عليها بها شروخ كبيره، لكن كما هو الحال في الكتل الجليدية الأخرى. ترجع تلك الصدوع إلي عهد قديم، ومُنجرفة لأعلى بشكل كبير. وكان الجليد مفكك جداً مما جعلنا نقوم بتسوية مكان للخيمة، ومن ثم نثبت عمود الخيمة بشكل سليم دون أي عراقيل. في المساء، خرج كلاً من هانسين وبيجالاند للاستطلاع، ووجدوا أن الأحوال هي كما رأوها من على مسافة بعيدة. و الطريق المُؤدي للمدرج الأول يمكن الوصول إليه بسهولة، و لكن لم يزل علينا اكتشاف الوضع بين ذلك المدرج والمدرج الثاني.

في اليوم التالي كان الوصول إلى المدرج الأول عملاً شاقاً. ولم يكن فرع الكتلة الجليدية المُؤدي إلى أعلى طويل جداً، لكنه شديد الانحدار ومتلئ بالاخاديد الكبيرة، حيث يجب الوصول إلى ذلك المدرج في من خلال فريقين يتبادلا بالتناوب علي مرتين، مع مزلاجتين في المرة الواحدة. كان الذهاب لحسن الحظ، افضل من اليوم السابق، وسطح الكتلة الجليدية كان جيداً وصلباً، لذلك وجدت الكلاب وسائل مساعده جيده نوعاً ما. ذهب بيجالاند في المقدمة إلى أعلى عبر هذه الكتلة الجليدية المنحدرة، وقد توقف عن عمله ليحافظ علي هدوء الكلاب الغاضبه ويسيطر عليها.

لم يعتقد أحد منا أبداً أننا في درجة حرارة بين ٨٥ و ٨٦ درجة ، لم نكن في رضا عن تلك الحراره، وبالرغم من أن ملابسنا كانت خفيفة، كنا نتصبب عرقاً كما لو أننا نتسابق في المناطق الأستوائية. أخذنا نصعد بسرعة، لكن بالرغم من تغييرالضغط المفاجيء، لكننا لم نرى بعد أيّة صعوبة في التنفس،أو صداع، أو أي نتائج أخرى مكروهة. ووصف شاكليتون مسيرته على هذا السهل الواسع، عندما أصابنا صداع من النوع القاسي والمكروه ، بأن هذا هو نظام اليوم، كنا نتذكر جميعاً ذلك.

في وقت قصير نسبياً وصلنا إلى نتوء في الكتلة الجليدية التي سبق وان كشفناها عن بُعد، ولم تكن مسطحة تماماً فقد كانت منحدرة بعض

الشيء باتجاه الحافة. عندما وصلنا إلى المكان الذي قام فيه كلاً من هانسين وبيجالاند بالاستطلاع الليلة السابقة، ظهرت لدينا فرصة رائعه لطريق الكتلة الجليدية الآخر. ولكن من المستحيل الاستمرار في ذلك ، حيث تتكون الكتلة الجليدية هنا- الواقعة بين الجبلين الشاهقين- من لاشيء سوى اخدود وراء اخدود، لذلك من الأشياء السيئة والضخمة التي رأيناها و استنتجنا أننا قد مُنعنا من التقدم في هذا الطريق لأكثر من ذلك. برئاسة فريدتجوف نانسين لا يمكننا الذهاب، حيث ارتفع هذا الجبل هنا بشكل عمودي، أجزاء منه مُجردة تماماً، وقد شكّل مع الكتلة الجليدية سطح مقفر جداً، بحيث لا يسمح لنا بالتفكير أبداً في عبور المجال الجليدي في هذا الاتجاه. إن فرصتنا الوحيدة هنا هي الاتجاه إلى جبل دون بيدرو كريستوفرسين، فعلي حسب ما نري أن الاتصال بين الكتلة الجليدية والأرض يقدم لنا تسهيلات ربما تساعدنا على التقدم أبعد من ذلك. بدون أي تداخل، كانت الكتلة الجليدية ممتزجه بالجبل الجانبي المُغطى بالثلج، والتي ارتفعت سريعاً نحو القمة المكشوفه نوعاً ما ومع ذلك، لم نتمكن من الرؤيه لأبعد من ذلك. سرعان ما أحيط الجزء الأول من الجبل الجانبي بتلال ضخمة تمتد من الشرق إلى الغرب، و عبرها نري فجوات كبيرة هنا وهناك. شعرنا، في هذا المكان الذي نحن فيه، بأننا قادرين على الاستمرار في طريقنا إلى أن نصل للأعلى ، هناك تحت التلال الواقعة بين تلك الفجوات، وبذلك نخرج من تلك المنطقة المضطربة التي بالكتلة الجليدية. يمكننا أن ننجح في عمل ذلك، لكن لايمكننا التأكد من أن نصل إلى أعلى التلال نفسها.

أخذنا قسطًا من الراحة -- ولم يكن لفترة طويلة -- ثم استأنفنا. وكنا شغوفين جدًا لرؤية ما إذا كنا سنستطيع مواصلة الصعود أم لا. ولم يكن هناك أي شك في الوصول إلى القمة دون الاستعانة بفريقين، في البداية كان علينا الصعود بمزلجتي كل من هانسن وويستنج، ثم الصعود بالمزلجتين الأخريين. ومع ذلك، فلم تكن لدينا رغبة شديدة في قطع المسافة مرتين، إلا أن الظروف جعلت ذلك أمرًا حتميًا. وكنا سنسعد حينها إذا علمنا أن هذه المرة ستكون آخر عملية تسلق تتطلب منا الاستعانة بفريقين، ولكن لم يكن لدينا علم بذلك، كما أن ذلك كان أبعد مما تمنيناه جميعًا. بالإضافة إلى ذلك، فكان هناك عمل شاق ومتعب أيضًا لجعل

الكلاب تسير على وتيرة واحدة، وبعد ذلك صعدنا إلى أسفل الحافة بين الشقوق الفارغة. ولم نفكر في المواصلة دون إجراء فحص دقيق للطريق. في الحقيقة، لم تكن المسافة التي قطعناها في هذا اليوم طويلة جدًا، إلا أنها كانت متعبة جدًا. وبالتالي، أقمنا في المكان ونصبنا خيمتنا على ارتفاع يبلغ ٥٦٥٠ قدمًا فوق مستوى سطح البحر.

تابعنا الرحلة على الفور لاستكشاف المكان وأول شيء قررنا فحصه هو الطريق الذي رأيناه من الأسفل. لقد كان هذا في الاتجاه الصحيح -- ألا وهو اتجاه الكتلة الجليدية، شرقًا وغربًا -- وبالتالي فكان هو الطريق الأقصر. ولكن لا يكون الطريق الأقصر هو الأفضل دائمًا، ففي موقعنا هذا، في أي حال من الأحوال، كنا نتمنى العثور على طريق آخر أطول يوفر لنا ظروفًا أفضل. لقد كان الطريق الأقصر فظيعًا -- ولكن من الممكن ألا يكون مستعصيًا على الإطلاق، وذلك إذا لم يكن أمامك خيار أفضل. في البداية كان علينا التغلب على عبور منحدر شديد الانزلاق يميل بزاوية مقدارها ٤٥ درجة وينتهي بشق كبير لا يمكن رؤية قاعه. لم يكن سهلاً جدًا أن نعبر هذا المكان على ألواح التزحلق على الجليد، ولكن مع المزلاجات المملوءة بأغراض كثيرة فكان من المؤكد أنه سيكون أكثر صعوبة. ولقد كان منظر المزلجة والسائق والكلاب وهي تتزحلق بطول الجانبين وتختفي إلى داخل المكان السحيق غاية في الروعة. وعبرنا بسلام على لوح التزحلق، ثم واصلنا رحلة الاستكشاف. وكان جانب الطريق الجبلي الذي كنا عليه يضيق بالتدريج بين شقوق عريضة من الأعلى وأخرى أكثر عرضًا من الأسفل وفي النهاية كان يوجد جسر ضيق جدًا -- يكاد يكون عرضه أكبر من عرض المزلجة -- يوصل إلى الكتلة الجليدية. وعلى كل جانب من الجسر، نظرت إلى شق عميق يميل لونه للأزرق. ليس من السهل جدًا أن تعبر هذا المكان، ولكن لا شك في أنه كنا سنستطيع توجيه الكلاب ونقل المزلاجات وبالتالي القدرة على التغلب على الأمر -- على افتراض أن الجسر سيتحمل ذلك -- إلا أنه لكي نحقق تقدمًا آخر وهو ما كان علينا القيام به على الكتلة الجليدية، فبكل وضوح كنا سنواجه مفاجآت كثيرة غير سارة. لقد كان ممكنًا إلى حد ما أنه مع مرور الوقت والصبر سيتمكن المرء من التغلب على هذه الشقوق السحيقة المتتابعة التي يتضح أنها توجد في المكان كله، ولكن كان علينا في البداية

التحقق مما إذا كنا لن نعثر على طريقة أفضل في اتجاه آخر أم لا. ومن ثمّ، فلقد عدنا إلى مكان التخييم.

وأثناء وجودنا في هذا المكان، تم ترتيب كل شيء وتم إعداد الخيمة وإطعام الكلاب. وهنا ظهر السؤال المهم: ماذا كان على الجانب الآخر من الحافة؟ هل كان هناك ما سيمثل لنا نفس الحيرة البائسة أم أن ظروف المكان هناك ستكون أفضل؟ وذهب ثلاثة منا لتفقد الأمر. لقد زاد حماسنا مع اقترابنا من الحافة، ولقد كان ذلك راجعًا بدرجة كبيرة إلى اعتمادنا على العثور على طريق مناسب. لم تتبق سوى خطوة واحدة وسنكون بالأعلى وكان الأمر يستحق المعاناة. ومن النظرة الأولى التي ألقيناها اتضح لنا أن هذا كان هو الطريق الصحيح الذي كان علينا اجتيازه. وكان جانب الطريق الجبلي ممهدًا وسلسًا أسفل القمة المرتفعة التي تشبه برج كنيسة مثلث الشكل -- لجبل دون بيدرو كريستوفيرسن، كما كان اتجاه الطريق يتبع اتجاه الكتلة الجليدية. واستطعنا رؤية المكان الذي يلتحم فيه هذا الطريق السطحي الطويل والمستوي مع الكتلة الجليدية، وكان المنظر كله خاليًا من أي عوائق. ورأينا بالطبع بعض الشقوق، إلا أنها كانت بعيدة، ولم يخطر ببالنا أنها ستمثل عائقًا. وعلى الرغم من ذلك، فلا زلنا في موقع بعيد جدًا عن المنطقة التي يمكننا من خلالها عمل أي استنتاجات محددة عن طبيعة الأرض، ومن ثمّ، فانطلقنا للأسفل لفحص الأحوال هناك بدقة أكثر. وكان السطح منبسطًا في هذا الموقع والجليد عميقًا إلى حد ما، حيث انزلق لوح التزحلق عليه بسهولة، إلا أنه كان صعبًا على الكلاب. وتابعنا مسرعين وبعد فترة قصيرة اقتربنا من الشقوق الثلجية الضخمة. لقد كانت كبيرة جدًا وعميقة جدًا وكانت تتبدد بسهولة أيضًا، حيث استطعنا أن نسلك طريقنا بينها بلا عناء.

إن الفتحة الموجودة بين الجبلين، التي كانت مملوءة بكتلة هايبرج الجليدية، كانت تضيق أكثر فأكثر كلما اتجهنا نحو النهاية، وعلى الرغم من أن المناظر كانت لا تزال رائعة، فلقد توقعت أننا سنواجه بعض العوائق عندما نصل إلى المنطقة التي يتوجه فيها جانب الطريق الجبلي إلى داخل الكتلة الجليدية. إلا أن مخاوفي ذهبت سدى، وببقائنا مباشرة أسفل جبل دون بيدرو لم نواجه أي متاعب، وبعد فترة قصيرة وجدنا أنفسنا بعيدين

عن الجزء المليء بالمصاعب لكتلة هايبرج الجليدية التي أعاقت تقدم رحلتنا تمامًا وسعدنا كثيرًا بذلك.

في هذا المكان المرتفع كان كل شيء هادئًا على نحو مثير للدهشة، حيث إن جانب الطريق الجبلي والكتلة الجليدية يندمجان معًا في منطقة سطحية كبيرة -- يمكنك اعتبارها كسهل من السهول -- دون أي عوائق من أي نوع. واستطعنا رؤية فتحات في السطح حيث كانت الشقوق الكبيرة موجودة سابقًا، إلا أنها قد انسدت الآن تمامًا وكونت كتلة واحدة متوازية مع السطح المحيط بها. واستطعنا حينها رؤية الاتجاه أمامنا حتى نهاية هذه الكتلة الجليدية الهائلة، فضلاً عن أنه استطعنا تكوين فكرة ما عن أبعادها. وشكّل كل من جبل ويلهلم كريستوفيرسن وجبل أولي إنجيلستاد نهاية هذه الكتلة، وكانت هاتان القمتان اللتان تأخذان شكل خلية النحل مرتفعتين جدًا في السماء، فضلاً عن أن الثلج كان يغطيهما تمامًا. وأدركنا حينها أننا وصلنا إلى آخر مرحلة في عملية التسلق وأن ما رأيناه في المسافة الواقعة بين هذين الجبلين كان الهضبة الرائعة فعلاً. والسؤال هنا هو كيف نعثر على طريق للوصول إلى الأعلى وكيف نجتاز هذه العقبة الأخيرة بأسهل طريقة لدينا. وفي الهواء الصافي تمامًا، استطعنا رؤية أدق التفاصيل بالاستعانة بنظاراتنا الموشورية (لتحسين الرؤية) وتوقع الاستنتاجات بثقة كبيرة. وكان من الممكن أن نصعد إلى أعلى جبل دون بيدرو نفسه، فلقد قمنا بأشياء صعبة من قبل. ولكن في هذا الموقع كان جانب الجبل منحدرًا إلى حد ما ومليئًا بالشقوق الكبيرة وكمية هائلة من الكتل الثلجية العملاقة. وبين جبلي دون بيدور وويلهلم كريستوفيرسن كانت تمتد تفريعة من الكتلة الجليدية إلى ناحية الهضبة، إلا أنها كانت غير مستوية وغير متماسكة لدرجة أنه لا يمكن الاعتماد عليها. وبين جبلي ويلهلم كريستوفيرسن وأولي إنجيلستاد لم تكن هناك أي وسيلة يمكننا الاستعانة بها للعبور. وعلى الرغم من ذلك، فبين جبلي أولي إنجيلستاد وفريتيوف نانسين، كان الأمر يشير إلى التفاؤل بدرجة أكبر، ولكن نظرًا لأن الجبل الأول منهما لم يتح لنا الرؤية المناسبة حتى الآن، فلم نتمكن من اتخاذ قرار نثق به. وكنا نحن الثلاثة جميعًا متعبين، إلا أننا اتفقنا على مواصلة رحلتنا واستكشاف ما كان مخفيًا عن أعيننا في هذا المكان. وكان العمل الذي سنقوم به اليوم وسيلة ستيسّر متابعة العمل في اليوم التالي جدًا. ومن

ثمّ، فانطلقنا وحددنا طريقنا مباشرة ناحية أقصى القمة المسطحة لكتلة هايبرج الجليدية. ومع مواصلة الرحلة، كانت المسافة بين جبلي نانسين وإنجيلستاد تنكشف أكثر فأكثر، ودون إحراز أي تقدم استطعنا التيقن بفضل التضاريس الموجودة أنه من هذا المكان سنجد بلا شك أفضل طريق يوصلنا لأعلى. وإذا كان التسلق الأخير في نهاية الكتلة الجليدية – التي لم يكن سوى جزء واضحًا منها – سيفرض صعوبات أمامنا، فسوف نستطيع التنبؤ من المكان الذي وصلنا إليه بأنه سيكون من الممكن – دون أي صعوبة بالغة – أن نسلك طريقنا عبر الجزء العلوي من جبل نانسين نفسه الذي يمر من هنا إلى داخل الهضبة دون مواجهة أي كتلة جليدية يصعب علينا اجتيازها. نعم، لقد تيقنا حينها أن الهضبة العظيمة ولا أي شيء غيرها رأيناه من قبل هي بالفعل ما سيوصلنا لما نريد. وعند المرور بين الجبلين، وعلى بعد مسافة قصيرة داخل الهضبة، ظهر مرتفع هيلاند هانسين وهو قمة يأخذك فضول شديد للنظر إليها. وما رأيناه مدهشًا هو أن مقدمتها كانت تمتد إلى داخل منطقة الهضبة، كما أنها كانت طويلة ولم تذكرني سوى بحافة أحد أسطح المباني. وعلى الرغم من أن هذه القمة لم تكن واضحة إلا بالكاد، فهي ترتفع بمقدار ١١٠٠٠ قدم فوق سطح البحر.

بعد أن فحصنا الظروف في هذا المكان واكتشفنا أنه في اليوم التالي -- إذا سمح الطقس بذلك -- علينا أن نصل إلى الهضبة، سلكنا طريق العودة راضين تمامًا عن النتيجة التي توصلنا إليها خلال الرحلة. واتفقنا جميعًا على شعورنا بالتعب واحتياجنا الشديد إلى الوصول إلى المعسكر وتناول بعض الطعام. لقد كان المكان الذي عدنا إليه، وفقًا للمقياس المعدني (الذي لا يعتمد على أي سوائل)، على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وهنا كنا على ارتفاع ٢٥٠٠ قدم عن موقع خيمتنا في جانب التل. لقد كان النزول سالكين نفس الطرق السابقة أكثر سهولة، إلا أن رحلة العودة كانت روتينية إلى حد ما. في أماكن كثيرة، كان الانحدار شديدًا، مما جعلنا نقوم بتزحلقات عديدة جيدة. ومع اقترابنا من مكان التخييم، مررنا بأسرع تجربة في الهبوط، وفي هذا المكان، مع التردد الذي يبدو أنه أصابنا، اكتشفنا أنه من الأفضل أن نضع كلا القضيبين معًا ونصنع وقفة شديدة. ونزل كل منا بطريقة واحدة جميلة جدًا. وكان المنظر رائعًا ومبهرًا

عند وصولنا إلى الحافة التي تحتها -- على مسافة بعيدة جدًا بالأسفل -- تقف خيمتنا. وبسبب ما يحيط بالموقع الذي خيمنا فيه من شقوق ضخمة وتصدعات واسعة من جميع الأماكن، فلا يمكن القول بأن هذا الموقع يبدو جذابًا جدًا. ولا رغبة في وصف منظر الحياة البرية الذي رأيناه من هذه النقطة، تصدع بعد تصدع وشق بعد شق، بالإضافة إلى تكتلات ضخمة من الثلج مبعثرة في أماكن متفرقة، مما يعطي المرء انطباعًا بأن الطبيعة هنا كانت قاسية جدًا علينا. وهنا لم نفكر في أي تقدم نقوم به.

لم يكن هناك سبب للوقوف في هذا المكان ومتابعة المشهد سوى الشعور برضا جيد. وبدأ الظلام يسدل ستاره على المكان – فوق خيمتنا – – في وسط هذه التقلبات، إلا أن هذا أعطانا شعورًا بالقوة والعزيمة. وعلمنا بداخلنا أن عبور المكان سيكون فظيعًا بالفعل إذ لم نغامر لنجتاز طريقنا خلاله ونعثر على مكان مناسب لبيتنا الصغير. كان لصوت التحطمات والجلبات المتلاحقة وقعه على آذاننا. وفي وقت ما كان صوت التحطم آتيًا من جبل نانسين وفي وقت آخر كان الصوت آتيًا من جبال أخرى، حيث تمكنّا من رؤية سحب من الثلج ترتفع إلى أعلى في الهواء. وكان واضحًا أن هذه الجبال تخلع رداء الشتاء لتكتسي بسترة الربيع.

وصلنا بسرعة شديدة للأسفل ناحية الخيمة حيث كان رفاقنا قد رتبوا كل شيء على أكمل وجه. وكانت الكلاب ترقد في حرارة الشمس وتصدر غطيطًا أثناء نومها وبالكاد لم تحرك ساكنًا عندما وصلنا وعبرنا بينها. بداخل الخيمة، كانت هناك حرارة استوائية معتادة تغمر المكان، حيث كانت الشمس ترسل أشعتها مباشرة على قطعة القماش الحمراء، مما جعلها دافئة. وكان موقد الطعام يصدر طنينًا ودمدمة وكان على سطح الطعام الموجود في القدر فقاعات بفعل الغليان. ولم نرغب في أي شيء في العالم أفضل من أن ندخل إلى الخيمة ونستريح ونأكل ونشرب. إن الأخبار التي أتينا بها لم تكن بالشيء البسيط -- ألا وهي صعودنا إلى الهضبة غدًا. وبدا الأمر تقريبًا من أنه أوشك على التحقق، حيث اعتقدنا أن الأمر سيستغرق عشرة أيام لنتمكن من الصعود، ولكن الآن علينا تنفيذ ذلك في أربعة أيام. وبهذه الطريقة، وفرنا كمية كبيرة من طعام الكلاب، حيث كان يجب علينا ذبح الحيوانات الزائدة عن الحاجة قبل ستة أيام من الميعاد الذي حددناه. وكان الأمر بمثابة احتفال صغير ذلك المساء داخل

الخيمة، ولم يكن ذلك لأننا حصلنا على طعام إضافي أكثر من المعتاد -- لا يمكن أن يكون هذا هو السبب -- ولكن فكرة الحصول على لحوم الكلاب الطازجة التي تنتظرنا عند الصعود إلى القمة هي ما جعل لعابنا يسيل. بمرور الوقت، استطعنا أن نعوّد أنفسنا جيدًا على فكرة اقتراب عملية الذبح، حيث إن هذا الحدث لم يبدُ فظيعًا بالنسبة لنا كما لو كان سيبدو. تم اتخاذ القرار، وتحديد الحيوان الذي وقع عليه الاختيار ليكون جديرًا بحياة أطول والذي وقع عليه الاختيار للتضحية به. وأجزم بأن هذا الأمر كان بمثابة مشكلة عويصة علينا، حيث إن جميعها كانت تتمتع بالكفاءة. واستمرت أصوات التحطم أثناء الليل، ومع كل جزء يسقط تلو الآخر كانت تظهر أجزاء من جوانب الجبل كانت مخفية بعيدًا عنا منذ فترة طويلة. وفي اليوم التالي، الموافق ٢٠ نوفمبر، استيقظنا ونهضنا في الوقت المعتاد في ٨ صباحًا تقريبًا. وكان الطقس مشرقًا وهادئًا وصافيًا. وكان الصعود إلى الحافة بداية صعبة على الكلاب في هذا اليوم، ولكنهم أظهروا كفاءة جيدة عن أنفسهم، حيث استطاعوا سحب المزلاجات بفرق فردية هذه المرة. وكانت المسيرة شاقة، مثلما كانت في اليوم السابق، كما أن التقدم عبر الثلج الرخو لم يكن سريعًا. لم نتبع الطرق التي سلكناها في اليوم السابق، ولكن سلكنا طريقنا مباشرة نحو المكان الذي قررنا محاول التسلق منه. وبدأ حماسنا يزداد كلما اقتربنا من جبل أولي إنجيلستاد الذي كان علينا المرور من تحته للوصول إلى تفريعة الكتلة الجليدية الواقعة بينه وبين جبل نانسين. كيف ستكون النهاية؟ هل تتجه الكتلة الجليدية بسلاسة إلى داخل منطقة الهضبة أم أنها غير متماسكة ولا يمكن تجاوزها؟ لقد استدرنا حول جبل إنجيلستاد أكثر فأكثر وكانت الفتحة تنكشف أكثر فأكثر. وبدا منظر السطح رائعًا كلما اقترب من مجال رؤيتنا ولم يبدُ الأمر كما لو أن الافتراض الذي اتخذناه في اليوم السابق سيتسبب في خيبة أمل لنا. وفي النهاية انكشف المنظر بالكامل وبلا أي عائقٍ من أي نوع بقي أمامنا الجزء الأخير من رحلة التسلق. وبدا المكان طويلاً ومنحدرًا واتفقنا على أن نأخذ قسطًا صغيرًا من الراحة قبل بدء المهمة الأخيرة.

وقفنا مباشرة أسفل جبل إنجيلستاد في مكان دافئ ومشمس وفي هذه المناسبة تناولنا غداءً خفيفًا كان بمثابة ميزة ممتعة لم تتوفر لنا حتى ذلك الوقت. تم إخراج حاوية الطهي وبعدها بفترة قصيرة كان الموقد يصدر

طنينًا بطريقة أخبرتنا أن الشوكولاتة ستكون جاهزة بعد قليل. وكان ذلك الشراب بمثابة نفحة من السماء. فشعرنا جميعًا بالسخونة بعد المشي وكانت حلوقنا جافة مثل الفحم. قدم الطاهي، هانسن، الطعام الموجود في القدر. ولم يكن هناك أي داعي لنطلب منه مشاركتنا فيه، حيث لن يمكن إقناعه بتناول أكثر من نصف ما خصص له -- وكان عليه توزيع الجزء المتبقي على رفاقه. وكان الشراب الذي أعده هذه المرة هو ما أسماه بالشوكولاتة، إلا أنني شعرت ببعض الصعوبة في أن أصدقه، حيث إنه كان يحب التوفير ولا يسمح بأي بذخ، وهذا ما يمكن رؤيته جيدًا في الشوكولاتة التي أعدها. في الواقع، على الرغم من ذلك، فبالنسبة للأشخاص الذين كانوا معتادين على اعتبار أن "الخبز والماء" طعامًا رائعًا، فكان طعمها، مثلما قلت، كما لو كانت نفحة من السماء. وكان الشراب هو الجزء الذي تم تقديمه بوفرة في الغداء، وإذا أراد أي فرد شيئًا ليأكله، فعليه إعداده بنفسه -- حيث لا يتم تقديم أي شيء له. يا لسعادة من احتفظ ببعض البسكويت من إفطاره! لم تكن وقفتنا طويلة جدًا. من الغريب أنك لا يمكنك تحمل الجو لفترة طويلة دون أن تشعر بالبرد في حين أنك لا ترتدي غير ملابس داخلية خفيفة ورداءً سروواليًا مضادًا للريح. وعلى الرغم من أن درجة الحرارة لم تكن أقل من -٤ درجات فهرنهايت، فسعدنا بمواصلة الحركة من جديد. وكانت جولة التسلق الأخيرة عملاً شاقًا إلى حد ما، و لا سيما النصف الأول منها. ولم نتوقع أبدًا أن نقوم بهذا الأمر بالاستعانة بفرق فردية، إلا أننا حاولنا إنجاز الأمر كله بنفس الطريقة. بالنسبة لهذه الجولة الأخيرة من السَحب، لا بد أن أعبِّر عن ثنائي الشديد لكل من الكلاب وسائقيها، حيث كان أداء كل منهم متميزًا. فلا يزال يمكنني رؤية الموقف بوضوح أمام عيني. فبدت الكلاب قادرة على التفاعل معنا بإدراكها أن هذه هي الجولة الأخيرة التي تحتاج إلى جهد كبير منها، حيث كانت تبسط أجسامها ثم تسحب المزلجة مشبثة مخالبها وجاذبة نفسها للأمام. ولكن كان عليها التوقف والتقاط أنفاسها كثيرًا إلى حد ما، وحينها جاء وقت اختبار قوة السائق. لم تكن الرحلة لعبة من لعب الأطفال حتى ننقل مزلجة محملة بالأغراض الثقيلة بشكل متكرر. فكيف استطاعوا، الرجال والحيوانات، صعود ذلك المنحدر! ومع ذلك، فاستمروا متخطين كل بوصة حتى عبروا أكثر المناطق انحدارًا.

ولم يكن أمامهم سوى الجزء المتبقي من جولة التسلق الذي يحتاج إلى صعود بسيط، حيث يمكنهم السير دون توقف. وعلى الرغم من ذلك، فكان الأمر شاقًا واستغرقنا وقتًا طويلاً قبل أن نصل جميعًا إلى أعلى الهضبة على الجانب الجنوبي من جبل إنجيلستاد.

كان لدينا فضول شديد وكنا متلهفين جدًا لمعرفة شكل الهضبة. لقد توقعنا أن نرى سهلاً رائعًا ومنبسطًا يمتد بلا أي عوائق ناحية الجنوب، إلا أننا أصبنا بخيبة أمل حيال ذلك. فناحية الجنوب الغربي، كان يبدو منبسطًا ورائعًا جدًا، ولكن لم يكن هذا الاتجاه هو الطريق الذي علينا أن نسلكه. أما ناحية الجنوب، فكانت الأرض ترتفع كلما سرنا لتظهر حيودًا تمتد في الشرق والغرب، ومن المحتمل أنها عبارة عن تتابع من سلسلة جبلية تمتد ناحية الجنوب الشرقي أو بمثابة حلقة وصل بينها وبين الهضبة. ودون أي كلل، تابعنا مسيرتنا، فلا يجب أن نستسلم حتى نرى السهل نفسه أمامنا. وكانت أمنيتنا هي أن الحيد البارز من جبل دون بيدرو كريستوفيرسن سيكون الأخير، والآن أصبحنا أمامه. إلا أن الحال تغيرت على الفور في هذا الموقع، حيث إن الثلج غير المتماسك جيدًا اختفى وبدأت مجموعة تموجات من الحيود الجليدية التي تكونت بفعل الريح (ساستروجا) في الظهور. وكان من الصعب جدًا أن نواجه هذه الحيود على هذا الحرف الجليدي الأخير، فكانت تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي وكانت صلبة مثل أحجار الصوان وحادة مثل السكاكين. وفي حالة السقوط بينها من المحتمل أن العواقب ستكون وخيمة جدًا. قد يظن المرء أن الكلاب قد قامت بعمل كافٍ لتشعر بالتعب خلال ذلك اليوم، إلا أن هذا الحرف الجليدي الأخير بما به من تموجات حيدية جليدية غير بسيطة لم تبدُ مزعجة لها على الإطلاق. ودون أي ضجر، تابعنا السير جميعًا تجذبنا المزلاجات فوق ما بدا لنا مثل الهضبة الأخيرة، ثم توقفنا في الساعة ٨ مساءً. لقد كان الطقس رائعًا واستطعنا بوضوح أن نرى طريقًا طويلاً جدًا. وفي الأفق البعيد الممتد ناحية الشمال الغربي، ظهرت قمم متتابعة، وكانت هذه هي السلسلة الجبلية التي تمتد إلى الجنوب الشرقي التي نراها الآن من الجانب الآخر. وفي المنطقة القريبة منا، على الحافة الأخرى، لم نرَ سوى الأسطح الخلفية للجبال التي ذكرناها مرارًا وتكرارًا. وبعد ذلك تعلمنا كيف يمكن أن يكون الضوء خادعًا. استعنت بالمقياس المعدني فور

وصولنا في مكان التخييم وأظهر أننا على ارتفاع ١٠٩٢٠ قدمًا فوق سطح البحر، وهذا هو ما أكده مقياس الارتفاع بعد ذلك. وجميع العدادات بالمزلاجات أظهرت قطْع مسافة تبلغ سبعة عشر ميلاً جغرافيًا أو ما يعادل واحدًا وثلاثين كيلومتر (أي تسعة عشر ميلاً بريًا وربع). إن العمل الذي قمنا به في هذا اليوم -- وهو قطع مسافة تبلغ تسعة عشر ميلاً بريًا وربع مع تسلق مسافة تبلغ ٥٧٥٠ قدمًا -- أعطى لنا فكرة عما يمكن أن تقوم به الكلاب مع التدريب الجيد. لا تزال المزلاجات تحتوي على ما يُعد حمولات ثقيلة، ولم يبدو ضروريًا أن نعطي الكلاب أي مكافأة أخرى سوى الحقيقة الأساسية.

كان من الصعب أن نجد مكانًا للخيمة، حيث كان الجليد صلبًا جدًا في هذا المكان المرتفع. إلا أننا عثرنا على مكان ما ونصبنا الخيمة. وحصلت على حقائب النوم وحقائب الأدوات، كما هو معتاد، من خلال باب الخيمة ورتبت كل شيء بداخلها. كما حصلت أيضًا على حاوية الطهي والأغراض الضرورية لذلك المساء والصباح التالي، ولكن الجزء الذي انقضى بسرعة غير عادية من عملي في تلك الليلة كان بدء إشعال موقد الطهي وتسخينه حتى يصل إلى الضغط العالي. وكنت أتمنى بذلك أن أحدث جلبة كافية لكتم صوت التحطمات التي كنت أعلم أنها ستبدأ بعد قليل -- كان أربعة وعشرون من رفاقنا الشجعان ومعاوِنينا المخلصين مشرفين على مشهد الموت. لقد كان الأمر صعبًا -- ولكن كان علينا القيام بذلك. فلقد اتفقنا على التخلي عن أي شيء حتى نحقق هدفنا. كان على كل رجل أن يذبح كلابه وفقًا للعدد الذي تم تحديده.

تم طهي الطعام بسرعة بالغة ذلك المساء وأعتقد أنني كنت مجدًا بشكل غير معتاد في تقليبه. وقع التحطم الأول -- لا أعاني من التوتر العصبي، ولكن عليّ أن أعترف بأني شعرت بالخوف. وبعدها تتابعت التحطمات الجليدية واحدة تلو الأخرى -- وكان لها صوت غريب في السهل العظيم. وفي كل مرة كان هناك خادم مشهود له بالكفاءة يفقد حياته. ومضى وقت طويل حتى أعلن الرجل الأول أنه قد انتهى، حيث كان عليهم جميعًا أن يفتحوا بطون كلابهم ويخرجون الأحشاء لوقاية اللحم من التلوث. وفي الغالب كان رفاق الضحايا تلتهم هذه الأحشاء الدافئة على الفور، حيث أظهرت كلها ما لديها من شراسة. وكان سجين،

أحد كلاب ويستنج، متلهفًا جدًا لالتهام الأحشاء الدافئة، وبعد الاستمتاع بهذه الوجبة الثمينة، بدا يترنح في حالة غريبة نوعًا ما. لم تقترب كلاب كثيرة من الأحشاء في البداية، إلا أن شهيتها للطعام حضرت بعد فترة ما.

إن حالة الاحتفال بالعيد التي كان يجب أن تكون غامرة داخل الخيمة في ذلك المساء -- وهو الأول لنا على الهضبة -- لم تجد طريقها للنور، حيث ساد الإحباط والحزن في المكان -- لقد كنا محبين جدًا لكلابنا. وأطلق على المكان اسم "الجزار." واتفقنا على أنه يجب علينا التوقف هنا لمدة يومين لنستريح ونأكل لحم الكلاب. لم يقبل أكثر من واحد من بيننا في البداية أن يتناول أي قطعة في هذا الاحتفال، إلا أنه بمرور الوقت، وازدياد حدة الشهية لتناول الطعام، تغيرت هذه الفكرة، حتى لم يفكر ويتحدث الجميع عن أي شيء سوى عن اللحم المأخوذ من ضلوع الكلاب وشرائح اللحم وما شابه ذلك أثناء الأيام القليلة الأخيرة قبل وصولنا لمنطقة الجزار. وعلى الرغم من ذلك، ففي هذا المساء الأول لنا، وضعنا شرطًا على أنفسنا، حيث اعتقدنا أنه لا يمكننا التهام أصدقائنا ذوي الأربع قبل أن يأخذوا وقتهم حتى يبردوا.

اكتشفنا بسرعة أن مكان الجزار لم يكن مكانًا ملائمًا للإقامة فيه. فأثناء الليل انخفضت درجة الحرارة بشدة وهبت عواصف عنيفة من الرياح على طول السهل، وكانت ترتطم بالخيمة وتهزها ولكن لن نتأثر بها من أول مرة. وقضت الكلاب الليل في الأكل، حيث استطعنا أن نسمع صوت أسنانها وهي تقطع الطعام وتفتته عندما كنا مستيقظين لوقت قصير. وعلى الفور بدأنا نشعر بتأثير التغير الشديد والمفاجئ في الارتفاع، وحينما أردت النوم في حقيبتي، كان عليَّ القيام بذلك على مراحل حتى لا أشعر بالتعب. ولقد تأثر أصدقائي بنفس الطريقة، حيث سمعت ذلك جيدًا دون أن أسألهم.

كان المكان هادئًا عندما استيقظنا، إلا أن الطقس لم يبدُ إطلاقًا في حالة تبشر بالتفاؤل، حيث كان ملبدًا بالغيوم وينذر بخطر وشيك. وقضينا فترة الضحى في سلخ جلود بعض الكلاب. وكما قلت آنفًا، لم يكن جميع المتبقين في حالة مزاجية مناسبة لتناول لحم الكلاب حتى الآن، ومن ثمَّ، فكان لا بد من تقديمه في أحسن صورة تكون شهية لهم. وعندما أتممنا سلخ الكلاب وتقطيع لحومها، كان الأمر قد انتهى تمامًا، حتى إن مَن كان

لديه أشد حساسية تجاه رائحة اللحم ومذاقه تغلب على ما لديه من هواجس. ولكن مع وجود طبقة من الجلد على اللحم، لم نستطع إقناع هؤلاء الأشخاص جميعًا على تناول اللحم في ذلك الصباح، ومن المحتمل أن هذا النفور كان بسبب الرائحة الصادرة عن طبقات الجلد وعليّ أن أعترف أنها لم تكن شهية. إلا أن شكل اللحم نفسه بدا بالفعل جيدًا جدًا وهو مقطع أمامنا، فلن يستطيع أي بائع لحم عرض لحومه بطريقة أفضل مما فعلناه بعد سلخ جلود عشرة كلاب وتقطيع لحومها. وفوق الثلج كانت تنتشر قطع كبيرة من اللحم الأحمر الطازج بمظهر جميل مع كميات من الدهن تثير شهية الجميع. وطافت الكلاب حول المكان وتشممت اللحم. واستطاع بعضها تناول قطعة منها، بينما كان يستمتع الآخرون بالهضم. وبالنسبة لنا نحن الأشخاص، أخذنا لأنفسنا ما اعتبرناه لحم الحيوان الأصغر سنًا والأرق من حيث القوام. وكان ترتيب الأمر برمته مهمة ويستنج من حيث اختيار قطع اللحم المأخوذة من الضلوع وإعدادها. ووقع اختياره على ريكس وهو حيوان صغير جميل، وبالمناسبة كان أحد كلابه. وبما يتمتع به من مهارة بفضل خبرته، قطّع اللحم وجهز منه ما اعتبره كافيًا لإعداد وجبة من الطعام. ولم أستطع إبعاد عيناي عن النظر إلى ما يقوم به، حيث إن قطع اللحم الصغيرة الرقيقة كان له تأثير كالتنويم المغناطيسي وهي موزعة واحدة تلو الأخرى فوق الثلج. وجعلتني أستعيد ذكريات من الأيام الخوالي، وحينها بلا شك لن تكون أي قطعة من لحم الكلاب مغرية أكثر من الآن -- حيث جعلتني أستعيد ذكريات أطباق مرتب عليها قطع اللحم المأخوذ من الضلوع بطريقة جذابة قطعة بجانب الأخرى مع رتوش ورقية زينية فوق العظم وكمية جميلة المظهر من البازلاء في الوسط. آه، لا تزال أفكاري تذهب بعيدًا عما نحن فيه -- إلا أن ذلك لا يهمنا الآن، كما أنه لن يؤدي إلى أي شيء ونحن في القطب الجنوبي.

أفقت من تأملاتي على صوت ويستنج وهو يرشق بلطته في الجليد كعلامة على انتهاء عمله، ثم التقط قطع اللحم ودخل إلى الخيمة. كانت السحب قد تناثرت إلى حد ما ومن وقت لآخر بدأت الشمس في الظهور، ولكن ليس في أكمل حالاتها. واستطعنا أن نلحق الشمس وهي تبزغ في الوقت المناسب لتحديد الارتفاع الذي نحن عليه -- وهو ٨٥ درجة ٣٦

دقيقة جنوبًا. ولقد حالفنا الحظ، حيث إنه لم ينقضِ وقت طويل بعد هبوب الرياح من الشرق والجنوب الشرقي وقبل أن نعَلم ما الذي كان يحدث حتى تمثل الأمر برمته في سحابة من الثلج. ولكن الآن بعدما تأكدنا من أحوال الطقس، ما هو الشيء المختلف الذي سيحدث لنا إذا هبت الريح وعصفت بحبال الأوتاد وجرفت الثلج معها؟ وعلى أي حال، فلقد قررنا البقاء في هذا المكان لبعض الوقت، حيث كانت لدينا وفرة من الطعام. وعلمنا أن الكلاب كانت تفكر أيضًا في نفس الشيء إلى حد كبير طالما أن لدينا طعامًا كافيًا، فلا ضرورة للتفكير في الطقس. وداخل الخيمة، كان ويستنج يؤدي دوره جيدًا عندما دخلنا بعدما أخذنا هذه الملاحظات. كان القدر على النار، وحسب الرائحة اللذيذة، فلقد اقترب الانتهاء من إعداد الطعام. ولم يتم قلي قطع اللحم، حيث لم تكن لدينا مقلاة أو حتى زبد. وبلا شك، كنا نستطيع الحصول على بعض الدهن من الطعام، كما من المحتمل أن كنا نستطيع تجهيز مقلاة من نوع ما، ومن ثمَّ، فيمكننا قلي اللحم إذا كانت هناك ضرورة لذلك، ولكن وجدنا أنه من الأسهل والأسرع أن نسلقها، وبهذه الطريقة حصلنا على حساء رائع بالإضافة إلى اللحم. كان ويستنج على دراية فائقة جدًا بعمله، حيث إنه وضع في الحساء جميع مكونات الطعام التي أكثرها من الخضراوات، ثم قدم لنا أجمل حساء من اللحم الطازج المزود بالخضراوات. وكان الطعام الأساسي في الوجبة هو طبق اللحم المأخوذ من الضلوع. وإذا كان لدينا أدنى شك في جودة اللحم، فإن هذا الشك انتهى على الفور بعد أول مذاق لنا. فكان اللحم رائعًا، رائعًا إلى حد ما، واختفت قطع اللحم واحدة تلو الأخرى بسرعة البرق. عليّ أن أعترف أنه لم يكن ينقصها أي شيء، حيث إنها كانت أكثر رقة نسبيًا، ولكن ليس علينا أن نتوقع الحصول على الكثير من الكلاب. وبعد هذه الوجبة الأولى، كنت قد أنهيت خمس قطع وحدي وبحثت في القدر عن المزيد، ولكن دون فائدة. يبدو أن ويستنج لم يعتقد أن الطلب على اللحم سيكون متزايدًا بهذه الدرجة.

قضينا فترة ما بعد الظهر في فحص مخزون الإمدادات وتوزيعه كله على ثلاث مزلاجات، أم الرابعة -- الخاصة بهاسيل -- فقررنا عدم استخدامها. وتم توزيع الإمدادات كما يلي. المزلجة رقم ١ (الخاصة

بويستنج) ستحتوي على قطع البسكويت بعدد ٣٧٠٠ قطعة (الحصة اليومية ٤٠ قطعة لكل فرد).

طعام الكلاب مقداره 277 3/4 رطلاً (٢/١ كيلوجرام أو ١ رطل أو مقدار 1 1/2 أوقية لكل كلب في اليوم).

طعام الأفراد مقداره 59 1/2 رطلاً (٣٥٠ جرامًا أو ١٢.٣٤ لكل فرد في اليوم).

الشوكولاتة مقدارها 12 3/4 رطلاً (٤٠ جرامًا أو ١.٤ أوقية لكل فرد في اليوم).

مسحوق الحليب مقداره 13 1/4 رطلاً (٦٠ جرامًا أو ٢.١ أوقية لكل فرد في اليوم).

كانت المزلجتان الأخريان تحتويان على نفس الإمدادات تقريبًا، ومن ثمّ، فاستطعنا ترك هذا المكان لمواصلة مسيرتنا على مدى فترة تبلغ ستين يومًا مزودين بالكمية الكاملة من المؤن. وتم تقسيم الكلاب المتبقية البالغ عددها ثمانية عشر إلى ثلاثة فرق بكل منها ستة كلاب. ووفقًا لحسابنا، يجب أن نكون قادرين على الوصول إلى القطب من هذا المكان مع هذه الكلاب الثمانية عشر وأن نعود منه ومعنا ستة عشر كلبًا. وبالنسبة لهاسيل، الذي قررنا الاستغناء عن مزلجته في هذه النقطة، فقد أجرى حساب حصته من المؤن، وتم إدراج المؤن الموزعة في دفاتر كل من المزلاجات الثلاث الأخريات.

وتم إجراء كل هذا على الورق في ذلك اليوم. ولم يتبقَ سوى أن نقوم بالتوزيع الفعلي للمؤن فيما بعد عندما يسمح الطقس بذلك. ولم يكن مفضلاً أن نخرج ونقوم بهذا في فترة ما بعد الظهر في ذلك اليوم. وفي اليوم التالي، الموافق ٢٣ نوفمبر، بدأت الرياح تهب ناحية الشمال الشرقي، وكان الطقس محتملاً نسبيًا، ولذلك ففي السابعة صباحًا بدأنا تجميع المؤن في المزلاجات. ولم تكن هذه المهمة بسيطة على الإطلاق، وعلى الرغم من أن الطقس كان كما أطلقت عليه "محتملاً نسبيًا"، فكان بعيدًا جدًا عن أن يكون ملائمًا لتجميع المؤن. وبالنسبة للشوكولاتة، التي في هذا الوقت كانت تتألف أساسًا من قطع صغيرة جدًا، كان علينا إخراجها وعدّها، ثم توزيعها على المزلاجات الثلاث. وكان علينا القيام بنفس الأمر مع قطع البسكويت، فكان يجب إخراج كل قطعة بسكويت وعدّها، ونظرًا

لأن لدينا بضعة آلاف منها لتوزيعها، فكنا ندرك بوضوح كيف سيكون الوقوف في درجة حرارة تبلغ -٤ درجة فهرنهايت مع هبوب عاصفة ريح على المكان الذي ننفذ فيه هذه المهمة الصعبة، علمًا بأن معظم الوقت كنا نعمل دون غطاء على أيدينا. وازدادت الريح بينما كنا نقوم بالعمل، وعندما أتممناه في النهاية، كان الثلج كثيفًا جدًا حيث تمكّنا من رؤية الخيمة بالكاد.

لقد تنحينا عن النية التي كانت لدينا في البداية وهي استئناف الرحلة فور تجهيز المزلاجات. ولم نخسر كثيرًا جدًا بسبب هذا، وعلى العكس، فلقد حصلنا على كل شيء. وبالنسبة للكلاب -- التي تعد أكثر العوامل أهمية -- تمتعت براحة تامة وحصلت على طعام جيد، حيث إنها مرت بتغيير ملحوظ منذ وصولنا إلى منقطة الجزار، فهي الآن تجول في المكان وأصبحت سمينة وبحالة جيدة وتشعر بالرضا، كما أن الشراسة التي كانت لديها في وقت سابق قد اختفت تمامًا. أما بالنسبة لنا، فقضاء يوم أو يومين أكثر لن يحدث أي اختلاف، حيث إن أهم شيء لدينا من الغذاء، ألا وهو طعام الأكل، لم يتغير بالفعل، فالوقت العصيب قد حان حقًا. ومن ثمّ، فلم نلاحظ أي علامة كبيرة على الإحباط عندما عدنا إلى الخيمة بعد إنهاء عملنا وكان علينا الاستمتاع بوقت الفراغ. وعندما دخلت إلى الخيمة، رأيت ويستنج جالسًا على ركبتيه في مكان بعيد قليلاً على الأرض ومشغولاً بإعداد قطع اللحم. وكانت الكلاب تقف في حلقة حوله وكانت تنظر باهتمام. وفي ذلك الحين، كانت الرياح الشمالية الشرقية تندفع محدثة صفيرًا وكان الهواء مليئًا بالثلج الكثيف المتطاير، ولم يكن ويستنج يُحسد على ما يقوم به. إلا أنه استطاع أن يؤدي عمله جيدًا واستمتعنا بالغذاء كالعادة. وأثناء المساء، هدأت الرياح قليلاً واتجهت بدرجة أكبر ناحية الشرق، وحينها، ذهبنا إلى النوم مع أفضل الأمنيات بأن يكون اليوم التالي أفضل.

جاء يوم السبت، الموافق ٢٥ نوفمبر، وكان يومًا عظيمًا في أمور كثيرة. لقد رأيت أدلة في العديد من المواقف تثبت معدن الرجال من نوعية رفاقي، إلا أن التصرف الذي قاموا به في ذلك اليوم هو ما لن أنساه أبدًا ما دمت حيًا. أثناء الليل، عادت الريح ناحية الشمال وزادت حدتها إلى أن أصبحت عاصفة. وكانت تصدر صفيرًا وتحمل الثلج معها لدرجة أنه

عندما خرجنا في الصباح لم نستطع رؤية المزلاجات، حيث إن الثلج كان قد غطى نصفها. وتجمعت الكلاب مع بعضها وحمت نفسها من العاصفة الثلجية العنيفة قدر استطاعتها. لم تكن درجة الحرارة منخفضة جدًا (-١٦.٦ درجة فهرنهايت)، إلا أنها كانت منخفضة بما يكفي لتشعر بقسوتها مع هبوب عاصفة. وقمنا جميعًا بجولة في الخارج لنتفقد أحوال الطقس وكنا جالسين على حقائب النوم نناقش المنظر المتردي. وقال أحد الأشخاص "إن هذا الطقس شيء عسير ابتليت به منطقة الجزار ويبدو لي كما لو أن الوضع لن يتحسن أبدًا. هذا هو اليوم الخامس والريح تهب بحالة أسوأ مما كانت عليه." واتفقنا جميعًا على ذلك. وتابع آخر الحديث قائلاً "لا شيء أسوأ بكثير من أن ترقد محتجزًا هكذا بسبب الطقس السيء، إن هذا الأمر يستغرق منك أكثر من أن تذهب من الصباح حتى المساء." وبصفة شخصية، كان لدي نفس الرأي. يوم واحد قد يكون مناسبًا إلى حد ما، ولكن يومان وثلاثة وأربعة وكما يبدو الآن خمسة أيام -- لا، هذا أمر فظيع. "هل علينا محاولة ذلك؟" لم يلبث أن تم الإعلان عن الاقتراح حتى وافق عليه الجميع وبصوت عال. وعندما أتذكر أصدقائي الأربعة الذين شاركوا في الرحلة إلى الجنوب، فأول شيء يأتي إلى عقلي هو ذكرى ذلك الصباح. فكانت جميع الصفات التي أقدرها بشدة في أي رجل واضحة في ذلك الجمع: الشجاعة والإقدام دون أي فخر أو كلمات إطراء. ووسط المزاح واللهو، تم جمع كل شيء -- ثم خرجنا إلى العاصفة الثلجية العنيفة.

كان من المستحيل بالفعل أن تفتح عينيك، حيث إن قطع الثلج الصغيرة المتطايرة كانت تخترق أي مكان وفي بعض الأحيان كنت أشعر بالإصابة بالعمى. ولم ترتطم العاصفة بالخيمة فحسب، بل غطتها أيضًا بالثلج، ولكي نرخيها، كان علينا التعامل معها بعناية لكيلا نحطمها. وكانت الكلاب نافرة بشدة لبدء العمل، واستغرق الأمر منا بعض الوقت حتى ندخلها في حزام الجر، ولكن في النهاية كنا مستعدين. وألقينا نظرة أخرى على مكان التخييم لنرى ما إذا كنا قد نسينا شيئًا ما كان علينا أخذه معنا. وجمعنا أجسام الكلاب المذبوحة المتبقية البالغ عددها أربعة عشر في كومة وأقمنا مزلجة هاسيل أمامها كعلامة على المكان. كما تركنا القطع الإضافية من أحزمة الجر الخاصة بالكلاب وبعض الأحبال المخصصة

لتسلق الجبال وجميع النعال المعدنية المانعة للتزحلق عند العمل على الجليد، حيث اعتقدنا حينها أنه لا حاجة إليها. وآخر شيء كان علينا فعله هو غرس لوح تزحلق مكسور في وضع عمودي بجانب مكان تخزين الأغراض. ويستنتج هو من فعل هذا، لظنه، حسبما افترضت، أن وضع علامة إضافية لن يتسبب في أي ضرر. إلا أن ذلك كان فكرة جميلة ستنكشف لاحقًا.

بعد ذلك كنا مستعدين للمغادرة: كانت البداية هي القيام بعملية سحب صعبة، على كل من الأشخاص والكلاب، حيث إن الحيود الجليدية المرتفة كانت منتشرة في كل مكان تجاه الجنوب وجعلت متابعة السير أمرًا في غاية الصعوبة. بالنسبة للذين تولوا مهمة قيادة المزلاجات كان عليهم البقاء حريصين جدًا وقيادة المزلاجات بعناية لكيلا تنقلب على التموجات الضخمة، أما بالنسبة لنا، حيث لم نكن نركب المزلاجات، فوجدنا صعوبة بالغة في السير على أقدامنا، حيث لم يكن لدينا شيء نتكئ عليه. وتابعنا السير بهذه الطريقة وببطء شديد، إلا أن الشيء العظيم هو أننا حققنا تقدمًا. وفي البداية، كانت الأرض تعطينا الإحساس بأنها ترتفع، ولكن لم يكن ذلك بدرجة كبيرة. وشعرنا بمعاناة شديدة أثناء السير، فكان الأمر شبيه بجر قدميك في الرمل. وفي غضون ذلك، بدأت الحيود الجليدية تبدو أصغر فأصغر، وفي النهاية، اختفت تمامًا، وأصبح السطح منسبطًا إلى حد ما. كما أن عملية السير تحسنت بشكل نسبي، وكان من الصعب أن نحدد السبب في ذلك، حيث إن العاصفة كانت مستمرة دون أي انقطاع وكانت موجة الريح -- مع امتزاجها حينئذ بالثلج المتساقط -- أكثر كثافة عما كانت عليه. وكان ذلك كل ما استطاع السائق القيام به لرؤية كلابه. ومع ذلك، فإن السطح الذي قد أصبح مستويًا تمامًا كان يبدو في بعض الأحيان أنه ينغمر للأسفل، وعلى أي حال، فإن هذا الانطباع يمكن أن يتأتى للمرء بسبب سرعة المزلاجات. وبين الفينة والفينة، كانت الكلاب تنطلق بسرعة شديدة فجأة. وبلا شك، فإن الريح الآتية من الخلف ساعدت في زيادة السرعة شيئًا ما، ولكن لا يمكن أن يكون ذلك هو السبب الوحيد في هذا التغيير.

تمنيت ألا تتغير هذه الحالة التي يتسم به اتجاه الأرض. وبرأيي، كان علينا أن نتوقف حيال مواجهتنا لأي شيء من ذلك النوع بعد الوصول إلى

المرتفع الذي كنا فيه، فيمكننا التعامل مع أي منحدر خفيف متجه للأعلى، ولكن تجاه الأسفل -- لا، فهذا بعيد عما تمنيته. وحتى الآن، لم يكن الانحدار شديدًا بدرجة كبيرة تسبب لنا المشقة، ولكن إذا بدأ في الانحدار للأسفل بصورة خطيرة، فكان علينا أن نقف ونخيم بالمكان. فإن الاندفاع بأقصى سرعة، مع انعدام الرؤية والجهل التام بطبيعة الأرض، سيكون جنونًا. فقد نتعرض لخطر السقوط في شق ما قبل أن نتمكن من التوقف.

كان هانسن يقود المزلجة في المقدمة كالعادة. وبصراحة، كان عليّ حينئذ أن أكون متقدمًا عليه، إلا أن السطح غير المستوي في البداية ثم السرعة التي أتت بعد ذلك جعلت من المستحيل أن أسير بنفس سرعة الكلاب في السحب. وكنت حينها سائراً بجانب مزلجة ويستنج وكنت أتحدث معه. وفجأة، رأيت كلاب هانسن تندفع للأمام وانحدرت ناحية الأسفل بأقصى سرعة خطيرة وكان ويستنج بعدهم. فصرخت في هانسن بأن توقف ونجح في القيام بذلك عن طريق الانعطاف بمزلجته. وتوقف الآخرون الذين كانوا يتبعونه عندما وصلوا إليه. وكنا في منتصف منخفض منحدر إلى حد ما، ولم يكن من السهل أن نقرر ما يمكن أن يكون بالأسفل ولم نستطع أيضًا محاولة اكتشاف الأمر في ذلك الطقس. هل كان يمكن أننا كنا في طريقنا للأسفل عبر الجبال مرة أخرى؟ وكان يبدو باحتمال شديد أننا كنا على إحدى الحروف الجليدية العديدة، ولكن لا يمكننا التأكد من أي شيء قبل أن يتحسن الطقس. مهدنا مكانًا ما لنصب الخيمة في الثلج الرخو وخلال وقت قصير نجحنا في إعدادها. ولم تكن مسيرتنا على مدار يوم طويل -- أحد عشر ميلاً وثلاثة أرباع -- إلا أننا قد غادرنا منطقة الجزار تمامًا وكان ذلك أمرًا عظيمًا. وأظهر اختبار نقطة الغليان الذي أجريناه ذلك المساء أننا كنا على ارتفاع ١٠٣٠٠ قدم فوق سطح البحر، وحسب ذلك، فلقد هبطنا بمسافة ٦٢٠ قدمًا عن منطقة الجزار. وبعدها ذهبنا إلى الفراش وخلدنا إلى النوم. ومع بزوغ النهار، كان يجب أن نستعد للنهوض وتفقد أحوال الطقس، فعلى المرء أن يغتنم كل فرصة في هذه المناطق. وإذا أهمل المرء القيام بذلك، فقد ينتظر لوقت طويل، فضلاً عن أنه من المحتمل أن يفقد الكثير. وبعدها خلدنا إلى النوم مع إبقاء كل منا إحدى عينيه يقظة وتأكدنا تمامًا أنه لا يمكن أن يحدث أي شيء دون أن نلاحظه.

في الثالثة صباحًا، اخترقت الشمس السحب ودخلت إلينا عبر باب الخيمة. ولكي نشاهد الموقف كان علينا النهوض فورًا. إلا أن الشمس باتت مثل قالب صغير من الزبد ولم تفلح في تبديد الضباب الكثيف، ومع ذلك، فهدأت الرياح قليلاً، ولكن ظلت قوية إلى حد ما. وهنا أتى أسوأ جزء من عملنا -- ألا وهو النهوض من حقيبة النوم الرائعة والدافئة والوقوف بالخارج لبعض الوقت مرتديًا ملابس خفيفة لمراقبة أحوال الطقس. كان عندنا علم من واقع خبرتنا بأن لحظة مشرقة كهذه بما فيها من طقس صافٍ قد تأتي فجأة، ومن ثمّ، فكان علينا الخروج فورًا لمتابعة الحدث. وجاءت اللحظة المشرقة ولم تستمر طويلاً، إلا أنها كانت طويلة حسب حاجتنا. كنا على جانب أحد الحروف الجليدية شديد الانحدار إلى حد ما أسفلنا. وكان المنخفض ناحية الجنوب شديد الانحدار، إلا أنه ناحية الجنوب الشرقي كان أفضل وأقل انحدارًا وينتهي بمنطقة واسعة ومستوية. ولم نرَ أي شقوق أو عوائق من أي نوع. وعلى الرغم من ذلك، فلم يمتد بصرنا إلى مسافة بعيدة جدًا، حيث لم نرَ سوى المعالم الموجودة في المنطقة القريبة. ولم نرَ أي جبل، فلم نرَ جبل فريتيوف نانسين أو جبل دون بيدرو كريستوفيرسن. وبعد شعورنا بالرضا عن العمل الذي قمنا به في الصباح، عدنا وخلدنا إلى النوم مرة أخرى حتى الساعة ٦ صباحًا لنبدأ تجهيزات الصباح. إلا أن الطقس، الذي كان قد تحسن إلى حد ما أثناء الليل، قد ساء حينها مرة أخرى وهبت العاصفة الشمالية الشرقية بكل قوتها. ومع ذلك، فلم نتوقف حينها بسبب تلك العاصفة والثلج المتساقط، حيث إننا قد اكتشفنا طبيعة الأماكن المحيطة بنا مباشرة، وفي حالة هبوطنا نحو السهل، فكنا عالمين دائمًا كيف سيكون طريقنا.

بعد أن وضعنا فرامل كافية على بكرات التدحرج بالمزلاجات، بدأنا السير إلى الأسفل في اتجاه جنوبي شرقي. إن الفكرة الصغيرة عن المكان الذي تمكنا من رؤيته في الصباح تحققت بالفعل. فكان الهبوط سهلاً وسلسًا ووصلنا إلى السهل دون أن نصادف أي خطر. واستطعنا حينئذ أن نتابع السير تجاه الجنوب، وفي عاصفة ثلجية كثيفة وعنيفة، واصلنا طريقنا إلى المجهول مستعينين بمساعدة جيدة من العاصفة الشمالية الشرقية المندفعة. وفي هذا الوقت، أعدنا نصب العلامات الإرشادية التي لم تكن ضرورية أثناء الصعود. وأثناء فترة الضحى، تجاوزنا مرة أخرى حرفًا جليديًا

صغيرًا وكان آخر حرف واجهناه. وكان السطح منبسطًا بما يتناسب معنا وناعمًا كأرضية المنزل ولم نرَ به أي علامة على وجود حيود جليدية. وعلى الرغم من ذلك، فإن كان التقدم الذي نحققه بطيئًا وشاقًا، فكان هذا بسبب السير الرهيب الذي كان وبحق عذابًا لنا جميعًا. فلا يمكن أن يكون سطح الأرض أسوأ في الصحراء إذا ما قمت برحلة بالمزلجة فيها. وفي هذه اللحظة كان السائقون في المقدمة قد نالوا ما يستحقونه وبدءًا من هذه البقعة وحتى القطب تبادلت أنا وهاسيل الموقع أثناء السير.

تحسن الطقس على مدار اليوم وعندما خيمنا في فترة ما بعد الظهيرة كان الطقس يبدو جميلاً إلى حد ما. وبزغت الشمس ومنحتنا شعورًا جميلاً بالدفء بعد الأيام القليلة القاسية التي قضيناها. ومع ذلك، فلم يكن الجو صافيًا، ولذلك، فلم نستطع رؤية أي شيء من حولنا. وحسب قراءة عدادات المزلاجات الثلاث، فكانت المسافة التي قطعناها هي ثمانية عشر ميلاً ونصف، ومع وضع حالة السير المتردية في الاعتبار، فكان لدينا ما يشعرنا بالرضا حيال ذلك. ووصل الارتفاع الذي كنا عليه إلى ٩٤٧٥ قدمًا فوق سطح البحر أو ما يعني أننا هبطنا بمقدار ٨٢٥ قدمًا خلال اليوم. إلا أن هذا أدهشني كثيرًا. فما معنى ذلك؟ بدلاً من أن نصعد بانتظام، فإننا نهبط بحركة بطيئة. لا بد من أن هناك شيئًا ما غير عادي ينتظرنا في الأمام، ولكن، ما هو؟ وحسب تقدير الموقع فكان الارتفاع الذي كنا عليه في ذلك المساء هو ٨٦ درجة جنوبًا.

وفي يوم ٢٧ نوفمبر، لم يكن الطقس كما تمنينا، فكان الليل مليئًا بعواصف عاتية آتية من الشمال، وفي الصباح هبت ريح متوسطة إلا أنها كانت مصحوبة بضباب وثلج متساقط. وكان هذا الوضع شنيعًا، ثم تابعنا السير على أرض لم تطؤها قدم على الإطلاق من قبل ولم نكن قادرين على رؤية أي شيء. وظل السطح كما هو تقريبًا -- ولكن يمكن أن يكون أكثر تموجًا بنسبة ما. وكانت الريح عاتية وعنيفة في هذا الموقع في بعض الأحيان وكان ذلك واضحًا في السطح أسفلنا، حيث كانت به حيود جليدية صلبة كالحديد. ولحسن حظنا، ملأ الثلج المتساقط أثناء الأيام القليلة الماضية هذه الحيود، ومن ثمّ، فكان السطح منبسطًا. وكان السير شاقًا، إلا أنه كان أفضل مما كان عليه في اليوم السابق.

أثناء سيرنا دون أن نرى شيئًا ومع معاناتنا من الطقس العنيف المتواصل، صاح أحدنا فجأة: "أنتم، انظروا هناك!" انبثقت قمة عريضة وقاتمة من بين كتلة الضباب ناحية الشرق والشمال الشرقي. ولم تكن بعيدة جدًا -- ولكن كانت تبدو قريبة جدًا منا بشكل رهيب. وقفنا وحدقنا في المنظر المذهل، إلا أن الطبيعة لا تكشف عن معالمها لفترة طويلة. فأسدل الضباب ستاره مرة أخرى بطبقة كثيفة وقاسية وقاتمة، فحجب عنا الرؤية. وحينها علمنا أنه علينا الاستعداد لمواجهة المفاجآت. وبعد أن قطعنا مسافة تصل إلى عشرة أميال تقريبًا، انكشف الضباب مرة أخرى لبرهة قصيرة ورأينا في منطقة قريبة إلى حد ما -- على بعد ميل أو نحو ذلك -- قمتين جبليتين طويلتين وضيقتين في الاتجاه الغربي من مكاننا وممتدتين شمالاً وجنوبًا وكانتا مغطتين بالثلج تمامًا. ولم نرَ سوى هاتين القمتين -- وهما جبلا هيلاند هانسين -- على يميننا أثناء السير فوق الهضبة، وكانتا على ارتفاع يتراوح بين ٩٠٠٠ و١٠٠٠٠ قدم، وكان يمكن أن نستعين بهما كعلامتين بارزتين أثناء رحلة العودة. ولم يكن هناك أي مجاز يصل بين هذين الجبلين والآخريْن الواقعين على الاتجاه الشرقي منهما، وبالنظر إليهما تبادر إلينا انطباع بأنهما قمتان منفصلتان تمامًا، حيث لم يمكننا استيعاب أن هناك قمة عالية تمتد شرقًا وغربًا. وتابعنا السير متوقعين دائمًا أن نواجه مفاجأة من نوع ما أو آخر خلال مسيرتنا. وكان الهواء من أمامنا أسود كالقار كما لو أنه كان يخفي شيئًا ما. لا يمكن أن تكون عاصفة أم أنها ستكون أمامنا بالفعل. ومع ذلك، فتابعنا السير ولم نصادف شيئًا. وسرنا على مدار اليوم ثمانية عشر ميلاً ونصف.

أظن أن مذكراتي ليوم ٢٨ نوفمبر لا تبدأ بتفاؤل كبير: "ضباب فضباب -- وضباب أكثر. بالإضافة إلى ثلج خفيف متساقط يجعل السير أمرًا مستحيلاً. والكلاب ضعيفة فلقد تعبت جدًا ولن تقدر على سحب المزلاجات اليوم." وعلى الرغم من ذلك، فلم يكن اليوم سيئًا جدًا على الإطلاق، حيث إننا واجهنا هذا الوضع المجهول واكتشفنا ما كان مخفيًا خلف السحب السوداء كالقار. وأثناء فترة الضحى، ظهرت الشمس وأطاحت الضباب جانبًا لبرهة من الوقت، وهناك ناحية الجنوب الشرقي، وليس على بعد أميال كثيرة، كانت تقف كتلة جبلية هائلة. وعند هذه الكتلة، أمام طريقنا مباشرة، كانت تمتد كتلة جليدية كبيرة قديمة قدم الزمان،

وكانت أشعة الشمس موجهة عليها وكشفت لنا عن سطح مليء بانبعاجات كبيرة. وعلى الجانب القريب من الجبل حيث الأماكن غير المستوية، كان يكفي لنا مجرد نظرة سريعة لنكتشف أنه من المستحيل أن نتابع السير في ذلك الطريق. ولكن على طريقنا مباشرة -- باتجاه مستقيم ناحية الكتلة الجليدية -- كان الوضع يبدو كما لو أنه سيمكننا السير على الطريق الذي استطعنا أن نراه. وكان الضباب يحل تارة ويغيب تارة أخرى وكان علينا الاستفادة من الأوقات الصافية في الطقس لتحديد طرقنا. وبلا شك، كان يبدو من الأفضل أن نتوقف وننصب خيمتنا وننتظر حتى يصبح الطقس صافيًا جدًا حتى نتمكن من فحص المنطقة دون أي عناء، ومن ثمّ، فيمكننا تحديد أفضل الطرق. فلم يكن مرغوبًا جدًا أن نتابع السير دون أن تكون لدينا أي فكرة عن طبيعة الأرض. ولكن ما هي المدة التي علينا أن ننتظرها حتى يصبح الطقس صافيًا؟ لم نستطع الإجابة على ذلك السؤال، فيمكن لمدة أسبوع أو حتى أسبوعين، ولكن ليس لدينا أي وقت لذلك. وكان الأفضل حينها هو أن نتابع السير ونتغلب على ما قد نواجهه.

ما استطعنا رؤيته من الكتلة الجليدية هو أنها بدت منحدرة إلى حد ما، ولكن ذلك لم يكن إلا بين الناحيتين الجنوبية والجنوبية الشرقية إلى أسفل الأرض الجديدة، وذلك حيث إن الضباب كان يختفي بين الفينة والفينة بما يكفي لنستطيع رؤية أي شيء. ومن ناحية الجنوب باتجاه الغرب، كان الضباب كثيفًا بأقصى درجة. ورأينا أن الشقوق الكبيرة قد اختفت بالفعل داخل الضباب، ومن ثمّ، فكان علينا ألا نفكر فيما هو شكل الكتلة الجليدية من ناحية الغرب. وكان علينا حينئذ أن نتجه ناحية الجنوب، حيث كان من الممكن أن نقطع بعض المسافة. وتابعنا السير حتى بدأت الأرض تظهر علامات على الكتلة الجليدية في شكل شقوق صغيرة، وحينها توقفنا. وفكرنا في تخفيف أحمال المزلاجات قبل مواجهة الكتلة الجليدية، واستنادًا إلى العلامات الصغيرة التي استطعنا رؤيتها، فكانت الكتلة منبسطة بما يكفي لمعرفة أننا سنواجه عملاً شاقًا. ومن ثمّ، فكان من المهم أن نضع حمولة خفيفة قدر الإمكان على المزلاجات.

بدأنا العمل على الفور لبناء مستودع لحفظ الأغراض، وكان الثلج رائعًا في هذا المكان لتحقيق هذا الغرض -- فكان صلبًا كالزجاج.

وخلال فترة قصيرة، ارتفع في الهواء مبنى مكون من أحجار صلبة من الثلج وبه المؤن المخصصة لخمسة أفراد خلال ستة أيام وتلك المخصصة لثمانية عشر كلبًا خلال خمسة أيام. كما تركنا بعض الأشياء الصغيرة هناك.

بينما كنا منهمكين في العمل، كان الضباب يأتي ويذهب وفي بعض الفترات الفاصلة كان الجو صافيًا إلى حد ما واستطعت أن أرى جيدًا الجانب القريب منا من السلسلة الجبلية. وبدا أنها شبه معزولة وتتكون من أربعة جبال من بينها كان هناك جبل منفصل عن البقية، ألا وهو جبل هيلمر هانسن. وكانت الثلاثة الأخرى -- وهي جبل أوسكار ويستنج وسفيري هاسيل وأولا بيالاند -- تقع بالقرب من بعضها. وخلف هذه المجموعة، كان الهواء كثيفًا وأسود طوال الوقت مشيرًا إلى أنه لابد أن هناك أرضًا ما مختبئة هناك. وفجأة، أثناء إحدى أكثر الفترات صفوًا، ظهرت فجوة في الستار الضبابي وخرجت إلى النور قمم كتلة جبلية هائلة. وأول انطباع بدر إلى أذهاننا هو أن هذا الجبل -- وهو جبل تورفالد نيلسين -- لا بد أن يكون ارتفاعه أكثر من ٢٠٠٠٠ قدم، وبالفعل أبهرنا المظهر حيث إنه ظهر ضخمًا جدًا. إلا أن ذلك كان لبرهة قصيرة فقط، حيث إن الضباب خيم على المكان مرة أخرى. إلا أننا نجحنا في أن نكوّن رؤية عن بعض الاتجاهات الصغيرة لمختلف القمم في المجموعة القريبة ولم تكن كبيرة جدًا، إلا أنه لم يمكن رؤية أفضل من ذلك. ومن ثمّ، فكان موقع المستودع محددًا جيدًا بمكانه أسفل قاعدة الكتلة الجليدية التي اتفقنا على أنه يستحيل أن نفقد مكانها.

بعد أن أكملنا البناية التي كانت مرتفعة في الهواء بمقدار ٦ أقدام على الأقل، وضعنا إحدى حقائبنا السوداء المخصصة للمؤن على قمتها حتى نتمكن من رؤيتها أثناء العودة بسهولة أكثر. واستطعنا إجراء ملاحظة أثناء متابعة العمل وبينت لنا أننا على ارتفاع ٨٦ درجة ٢١ دقيقة جنوبًا. ولم تكن هذه الملاحظة متوافقة بدرجة كبيرة مع الارتفاع الذي حددناه حسب طريقة تقدير الموقع التي أظهرت أننا على ارتفاع ٨٦ درجة ٢٣ دقيقة جنوبًا. وفي غضون ذلك، خيم الضباب مرة أخرى وغطى على كل شيء وتساقط ثلج طفيف. كما تمكنا من إلقاء نظرة على مسار الكتلة الجليدية التي كانت غالبًا خالية من الشقوق، ومن ثمّ، فتابعنا السير مجددًا. ولم يمضِ وقت طويل حتى أدركنا طبيعة الطريق باتجاه الكتلة الجليدية. لم تكنَ

الشقوق كبيرة في قاعدة الكتلة، ولم نلبث أن وصلنا إلى منطقة الصعود حتى بدأت المتعة. فكان هناك شيء غريب في هذه المسيرة العمياء تمامًا بين الشقوق والتصدعات الموجودة في كل الجوانب. وفحصنا اتجاه البوصلة من حين لآخر، ثم تابعنا السير بحذر.

ذهبت أنا وهاسيل في المقدمة ماسكين حبلاً، إلا أن ذلك لم يكن عونًا للقائمين بمهمة القيادة. وتحركنا بسلاسة وسهولة على لوح التزحلق عبر الأماكن التي تمكنت الكلاب من تجاوزها بسهولة. ولم يكن هذا الجزء، وهو الأقل انخفاضًا من الكتلة الجليدية، خاليًا تمامًا من أي خطر، حيث إن الشقوق كانت غالبًا محجوبة عن الرؤية إلى حد ما بسبب وجود طبقة كبيرة غير كثيفة من الثلج. وفي حالة صفاء الطقس، لا يكون سيئًا جدًا أن تجتاز هذا السطح، وذلك لأن تأثير الضوء والظل سيظهر عادة حواف هذه الأشراك المخفية، ولكن في يوم مثل هذا، عندما لا يمكنك رؤية أي شيء، فمواصلة السير يكون محفوفًا بالمخاطر. إلا أننا واصلنا السير بأقصى حالات الحذر. اقترب ويستنج من الارتطام بقاع أحد هذه الشقوق الخطيرة مع المزلجة والكلاب وكل شيء، حيث إن الجسر الذي كان عليه عبوره تحطم. وبفضل انتباهه وتحركه بسرعة تشبه البرق -- قد يطلق البعض على ذلك الحظ -- نجح في إنقاذ نفسه. وبهذه المسيرة، قطعنا مسافة ٢٠٠ قدم تقريبًا إلا أننا صادفنا بعد ذلك متاهة من التصدعات الواسعة والفجوات الشاسعة، مما أعاق حركتنا. ولم يكن علينا فعل أي شيء إلا أن نعثر على أكثر الأماكن ملاءمة وننصب خيمتنا فيه.

فور انتهائنا من هذا العمل، خرجت أنا وهانسن لاستكشاف المنطقة. وكنا مربوطيْن بحبل لنكون على درجة كافية من الأمان. وتطلب الأمر إجراء فحص ما للعثور على طريقة للخروج من الشرك الذي أوقعنا أنفسنا فيه. ناحية مجموعة الجبال التي تكلمنا عنها سابقًا -- التي تقع الآن في الاتجاه الغربي لنا -- كان الجو صافيًا بما يكفي ليعطينا رؤية جيدة إلى حد ما لمظهر الكتلة الجليدية في ذلك الاتجاه. فما رأيناه من قبل من مسافة بعيدة تم تأكيده الآن. وكان الجزء الممتد إلى الجبال محطمًا وغير مستوي تمامًا لدرجة أنه لم تكن بالفعل هناك أي بقعة يمكنك وضع قدمك فيها. وكان يبدو كما لو أن معركة ما قد حدثت هنا وكانت الأسلحة المستخدمة هي قطع كبيرة من الثلج. فكانت هذه القطع متناثرة بشكل

غريب جدًا واحدة فوق الأخرى في جميع الاتجاهات وتوحي بصورة اضطراب عنيف. بفضل الله لم نكن هنا أثناء حدوث ذلك – قلت ذلك بداخلي وأنا واقف أنظر إلى أرض هذه المعركة – لا بد أن هذا المظهر يشبه يوم القيامة وبدرجة كبيرة أيضًا. وبلا شك، لن نتمكن من متابعة السير في ذلك الاتجاه، إلا أن هذا لم يكن أمرًا خطيرًا، حيث إن طريقنا كان ناحية الجنوب. وناحية الجنوب، لم نستطع رؤية أي شيء، حيث كان الضباب كثيفًا وكبيرًا في المكان. وكل ما استطعنا فعله هو محاولة تتبع طريقنا، ولذلك، اتجهنا ناحية الجنوب.

فور مغادرتنا للخيمة، كان علينا أولاً أن نعبر جسرًا ثلجيًا ضيقًا نسبيًا، ثم السير بطول حافة أو حرف كان قد أصبح قائمًا بفعل الضغط وعلى كلا جانبيه شقوق واسعة. وأخذتنا هذه الحافة إلى تموج ثلجي ارتفاعه ٢٥ قدمًا تقريبًا -- وهو هيكل تشكل بسبب توقف الضغط قبل أن تنضغط الموجة فتنكسر وتكوّن نتوءات في الأرض. وعلمنا جيدًا أنه سيكون مكانًا صعبًا لنعبر بالمزلاجات والكلاب، ولكن في حالة عدم عثورنا على أي شيء أفضل منه، فسيكون علينا اجتيازه. ومن عند قمة هذا الشكل المتموج، استطعنا أن نرى المكان بالأسفل على الجانب الآخر، وهو ما كان محجوبًا عنّا حتى تلك اللحظة. إلا أن الضباب حجب عنا الرؤية إلى أبعد من ذلك، ولكن الأماكن المحيطة بنا مباشرة كانت كافية لإقناعنا بأنه بتوخي الحذر سنستطيع تحقيق المزيد من التقدم. وبدءًا من المرتفع الذي كنا عليه، سيكون لزامًا علينا أن نحتاط جيدًا لتجنب السقوط إلى الجانب الآخر، حيث إن الموجة هناك كانت تنتهي بشق فارغ وكبير بما يكفي لابتلاع أي من القائمين على القيادة أو المزلاجات أو الكلاب التي قد تتعثر أقدامها وتنزلق.

إن هذه الرحلة التي قمت بها أنا وهانسن إلى الجنوب كانت كلها عشوائية، حيث إننا لم نرَ شيئًا على الإطلاق، وكان هدفنا هو التعرف على المسارات استعدادًا للرحلة في اليوم التالي. ولم تكن الألفاظ التي استخدمناها عن الكتلة الثلجية عند ذهابنا مبالغًا فيها على الإطلاق، حيث إننا قمنا بعدد لا يحصى من التحويلات والانعطافات لمتابعة السير. فلكي تقطع مسافة ياردة واحدة للأمام، أُجزم أنه كان علينا أن نسير مسافة عشر ياردات على الأقل تجاه أحد الجانبين. هل يمكن أن تندهش من أننا

أطلقنا عليها اسم منطقة شيطان الثلج؟ على أي حال، أدرك رفقاؤنا حقيقة الاسم بهتافات رنانة عندما أخبرناهم عنها.

عند بوابة الجحيم توقفت أنا وهانسن. لقد كان هذا الشكل غريبًا جدًا، حيث إن الكتلة الجليدية قد كوّنت في هذا المكان حافة طويلة ارتفاعها ٢٠ قدمًا تقريبًا، وفي وسط هذه الحافة كان ثمة شق شكلت فتحته بوابة عرضها ٦ أقدام تقريبًا. وكان هذا الشكل -- مثل أي شيء آخر على الكتلة الجليدية -- قديمًا جدًا بصورة واضحة وكان أغلبه مملوءًا بالثلج. ومن هذه النقطة، وعلى مدى المسافة التي استطعنا رؤيتها تجاه الجنوب، كانت الكتلة الجليدية تبدو أفضل فأفضل، وحينئذ استدرنا وتابعنا مساراتنا بثقة مطمئنة بأنه علينا النجاح في مواصلة الطريق.

لم تكن الأخبار التي أتينا بها عن المشاهد التي صادفناها محبطة عندما أبلغنا رفاقنا بها. وفي ذلك المساء كان الارتفاع الذي وصلنا إليه هو ٨٦٥٠ قدمًا فوق سطح البحر -- وهو ما يعني أنه عند قاعدة الكتلة الجليدية كنا قد وصلنا إلى ارتفاع ٨٤٥٠ قدمًا أو أننا هبطنا عن منطقة الجزار بمقدار ٢٥٧٠ قدمًا. وحينئذٍ، علمنا جيدًا أنه سيكون علينا صعود هذه المسافة مرة أخرى، وربما أكثر، ولم يثر هذا أي حماس جدير بالذكر. وفي مذكراتي، رأيت أني أختتم اليوم بالكلمات الآتية "متسائلاً، ماذا ستكون المفاجأة التالية؟"

لقد كانت الرحلة التي نقوم بها وبحق رحلة غير عادية خلال مناطق جديدة وجبال جديدة وكتل جليدية وما إلى ذلك دون أن نستطيع رؤية أي شيء. وربما كان من الطبيعي إلى حد ما أننا كنا مستعدين لمواجهة أي مفاجآت. وما كنت أخشاه عن هذا الشعور أثناء السير في الظلام هو أنه سيكون من الصعب -- بل من الصعب جدًا حقًا -- أن ندرك طبيعة الأرض مرة أخرى أثناء العودة. ولكن لأن هذه الكتلة الجليدية كانت تقع مباشرة على مسارنا وبفضل العلامات الإرشادية العديدة التي وضعناها، فطمأنا أنفسنا حول هذا الأمر. ولذلك، فلن نفقد مكان هذه العلامات بسهولة أثناء العودة. وكان تركيزنا بالطبع على أن نكتشف طريقنا في الهبوط إلى منطقة الحدّ مرة أخرى – فأي خطأ هناك قد يكون وخيمًا جدًا. وسيتضح لاحقًا في هذه القصة أن خشيتي من عدم استطاعتنا إدراك ماهية الطريق لم تكن بلا مبرر على الإطلاق. لقد كانت العلامات الإرشادية

التي وضعناها في صالحنا، وكان النجاح الذي حققناه في النهاية راجعًا في الأساس لما اتبعناه من حرص وتفكير واعٍ في استخدام هذه الوسيلة.

وفي صباح اليوم التالي، الموافق ٢٩ نوفمبر، كان الطقس أكثر صفاءً بنسبة كبيرة أتاحت لنا إمكانية إجراء فحص جيد جدًا للموقع الذي نحن فيه. وتمكّنا حينها من رؤية أن سلسلتي الجبال المتحدتين عند ارتفاع ٨٦ درجة جنوبًا كانتا تمدان لسلسة عظيمة ناحية الجنوب الشرقي مكونة من قمم تتراوح ارتفاعاتها من ١٠٠٠٠ قدم إلى ١٥٠٠٠ قدم. وكان جبل تورفالد نيلسين هو أقصى شيء في الجنوب استطعنا رؤيته من هذا الموقع. وكانت جبال هانسن وويستنج وبيالاند وهاسيل، كما اعتقدنا في اليوم السابق، تُكوّن بنفسها مجموعة ظهرت منفصلة عن باقي السلسلة.

كان لدى السائقين عمل حماسي في الصباح. فكان عليهم القيادة باحتراز وصبر شديديْن لمواجهة طبيعة الأرض التي كانت أمامنا، فأي خطأ طفيف قد يكون كافيًا لإرسال كل من المزلجة والكلاب إلى العالم الآخر بسرعة البرق. إلا أنه لم ينقض سوى وقت قصير جدًا حتى قطعنا المسافة التي اكتشفناها في الليلة السابقة، وقبل أن نعرف الأمر، كنّا أمام بوابة الجحيم.

التقط بيالاند صورة رائعة لهذا المكان أعطت فكرة رائعة عن المصاعب التي كانت موجودة في هذا الجزء من الرحلة. وفي الجزء الأمامي، أسفل الجسر الثلجي الشاهق الذي يشكل أحد جانبي شق واسع جدًا ولكن مملوء جزئيًا، يمكنك رؤية علامات لوح التزحلق في الثلج. وكان هذا بفعل المصوّر، حيث إنه أثناء عبوره لهذا الجسر الثلجي، غرس لوح التزحلق الذي استخدمه في الثلج لتوفير الدعم المطلوب له. وبالقرب من المسارات، يمكن رؤية جزء مفتوح من الشق، وكان لونه أزرق شاحبًا من أعلى، ولكن جزأه الأخير كان بأقصى درجة من اللون الأسود -- منتهيًا بهوة لا يُرى قاعها. وعبَر المصوّر الجسر وعاد بسلام، ومع ذلك، فلم يكن هناك أي شك في مسألة المخاطرة والعبور بالمزلاجات والكلاب، ويمكنك أن ترى في الصورة الفوتوغرافية أن المزلاجات قد تغيرت وجهتها لمحاولة العثور على طريق آخر. والشكلان الصغيران الواضحان باللون الأسود

على مسافة بعيدة، على اليمين، هما أنا وهاسيل، حيث كنا نستشكف الطريق أمامنا.

لم تكن المسافة التي قطعناها في ذلك اليوم طويلة جدًا – حيث كانت تسعة أميال وربع على خط مستقيم. ولكن مع الوضع في الاعتبار جميع المنعطفات والدوائر التي أجبرنا على القيام بها، فلم تكن هذه قصيرة جدًا على الإطلاق. أقمنا خيمتنا على قاعدة جيلة وصلبة وكنا راضين جدًا عن العمل الذي حققناه خلال اليوم. وكنا على ارتفاع ٨٩٦٠ قدمًا فوق سطح البحر. وكانت الشمس حينئذٍ في الغرب وتسلط أشعتها اللامعة مباشرة فوق التكتلات الجبلية الضخمة. وكان المظهر حينها رائعًا باللون الأزرق والأبيض، والأحمر والأسود، فكانت مجموعة من الألوان يعجز المرء عن وصفها. وعلى الرغم من أن الطقس كان صافيًا حينئذٍ، فاستطاع المرء إدراك أن الطقس الصافي ليس هو كل ما يمكن أن يتمناه المرء، حيث إن أقصى جزء في الجنوب الشرقي من جبل تورفالد نيلسين كان قد اختفى في سحابة قاتمة لا يُرى منها شيء، مما جعلني أشك في متابعة السير في ذلك الاتجاه، ولكنني لم أكن متأكدًا من ذلك.

جبل نيلسين -- آه! لم أرَ شيئًا أجمل من هذا على الإطلاق. قمم ذات أشكال متنوعة جدًا ترتفع في عنان السماء ومغطاة جزئيًا بسحب سائرة. وكان بعضها حادًا، إلا أن أغلبها كان طويلاً ومستديرًا. وبين الحين والآخر، كنت أرى كتلاً جليدية ساطعة ولامعة تمتد بشكل مبهر إلى أسفل المناطق الجانبية المنحدرة وتلتقي عند الأرض مكونة قاعدة راسخة في صورة معقدة رهيبة. إلا أن جبل هيلمر هانسن كان الأكثر إبهارًا من بينها جميعًا، حيث كانت قمته دائرية مثل قاع الصحن ومغطاة بطبقة ثلجية رائعة ومجزأة لأجزاء كثيرة رهيبة لدرجة أن كتلات الثلج كانت بارزة في كل اتجاه مثل أشواك الهَيْشَم (حيوان من القوارض). وكان لامعًا وبراقًا في ضوء الشمس – لقد كان المنظر رائعًا. لا يمكن أن هناك جبل مثل هذا في العالم بأسره، كما أنه كان بمثابة عَلَم لا مثيل له بالنسبة لنا. فعلمنا أننا لا يمكن أن نخطأ ذلك المكان، مهما تكن الأماكن المحيطة بنا خلال رحلة العودة، حتى مع احتمال تغير ظروف الضوء تمامًا.

بعد أن خيّمنا، ذهب اثنان منا لاستكشاف المكان أكثر. لم يكن المنظر من عند الخيمة مشجعًا، إلا أنه قد نصادف ما هو أفضل مما توقعنا. وكنا

محظوظين لأننا وجدنا الطريق رائعًا كما كان على الكتلة الجليدية، وكنا قد تركنا النعال المعدنية المانعة للتزحلق عند العمل على الجليد في منطقة الجزار، وفي حالة أن صادفنا ثلجًا رخوًا بدلاً من أن نصادف سطحًا ثلجيًا متماسكًا وصلبًا، مثلما كان أمامنا حينئذٍ فكان سيتسبب ذلك في مصاعب كثيرة لنا. وصعدنا -- وواصلنا الصعود بين أنياب الشقوق التي كان بعضها يصل إلى مئات الأقدام عرضًا ومن المحتمل آلاف الأقدام عمقًا. ولم تكن تقديراتنا لمواصلة المسيرة مؤكدة جدًا، حيث إننا استطعنا أن نرى على مرمى البصر في اتجاه السير حرفًا جليديًا هائلاً يعلو حرفًا آخر ويخفي عند جوانبه البعيدة تصدعات ضخمة وواسعة، ومن ثمّ، فكان علينا تفادي كل ذلك. ثم تابعنا السير -- أكثر فأكثر -- إلا أن الطريق كان طويلاً ومليئًا بالصعاب. ولم يكن معنا أي حبل في هذه المرة، حيث إن الأماكن المتعرجة كانت منبسطة جدًا لدرجة أنه لم يكن من السهل اجتيازها. وفي أوقات عديدة أيضًا، اتضح أن الحبل كان سيكون مفيدًا. وكنا على وشك أن نعبر إحدى الحواف الجليدية الهائلة -- حيث كان السطح في هذا المكان يبدو كتلة واحدة تمامًا -- عندما تحطمت قطعة كبيرة أسفل النصف الخلفي من لوح التزحلق الذي يمتطيه هانسن مباشرة. ولم نستطع أن نمنع أنفسنا عن النظر في الفتحة. لم يكن المنظر رائعًا واتفقنا على تفادي هذا المكان عندما نأتي هنا مع الكلاب والمزلاجات. وفي كل يوم كنا نعرف قدر لوح التزحلق الذي معنا. وفي أغلب الأوقات اعتاد أن يسأل كل منا الآخر أين كنا سنكون إذا لم تكن معنا هذه الأدوات الرائعة. وكانت الإجابة الطبيعية هي: من المرجح جدًا في قاع أحد الشقوق. فحينما لاحظنا الأحوال المختلفة لطبيعة وبيئة منطقة الحدّ، كان من الواضح لنا جميعًا مَن كان ماهرًا جدًا في استخدام لوح التزحلق، حيث لم نكن في غنى عن هذه الأدوات أبدًا. وتم تأكيد هذه الفكرة وتأييدها في كل يوم، ولا أبالغ في تقدير فائدة ألواح التزحلق الرائعة التي استخدمناها إذا قلت أنها لم تلعب دورًا مهمًا جدًا في رحلتنا إلى القطب الجنوبي فحسب، بل من المحتمل أنها قامت بأكثر الأدوار أهمية على الإطلاق. وفي أكثر من مرة، كنا نقطع مسافات طويلة على سطح متصدع ومشقق بدرجة كبيرة كان من المستحيل اجتيازها سيرًا على الأقدام. وأودّ أن أشير تحديدًا إلى

الميزات التي منحها إيانا لوح التزحلق أثناء السير على الجليد العميق والرخو.

بعد أن تابعنا السير لمدة ساعتين، قررنا العودة. ومن عند الحرف المرتفع الذي كنا نقف عليه في ذلك الوقت، كان السطح من أمامنا يبدو مبشرًا بتفاؤل أكثر من أي وقت مضى، إلا أننا قد خُدعنا من قبل فوق الكتلة الجليدية لدرجة أننا أصبحنا حينئذٍ مرتابين تمامًا. على سبيل المثال، كم فكرنا كثيرًا أنه بعد هذا أو ذاك التموج سوف تنتهي تجاربنا البائسة وأن الطريق إلى الجنوب سيكون منبسطًا وممهدًا إلى أن نصل إلى المكان ونكتشف أن الأرض وراء الحافة، إذا كان ذلك مرجحًا، كانت أسوأ مما صادفناه من قبل. ولكن في هذه المرة، بدا إلى حد ما أننا سنشعر بانتصار كبير. فكانت أشكال الأماكن تبدو مبشرة بذلك، ولكن -- هل خدعتنا هذه الأشكال في تلك المرة لأننا رفضنا أن نفكر فيها قليلاً آنذاك؟ هل يمكن أن تكون الغريزة هي من أخبرنا بهذا؟ لا أعلم، ولكني متأكد أن ما اتفقنا عليه أنا وهانسن عندما كنا واقفين هناك نناقش المَعالِم التي رأيناها هو أنه وراء أبعد حافة رأيناها، كان علينا اجتياز الكتلة الجليدية. وكانت لدينا رغبة شديدة لمتابعة السير وإلقاء نظرة على المكان، إلا أن الطريق من حول الشقوق الكثيرة كان طويلاً، وعليّ أن أعترف أيضًا أنه قد بدأنا نشعر بالتعب. ولم تستغرق رحلة العودة للأسفل وقتًا طويلاً وعاجلاً وصلنا وأخبرنا رفاقنا أن ما رأيناه كان مبشرًا جدًا لرحلة اليوم التالي.

بينما كنا نكتشف المكان، قاس هاسيل ارتفاع جبل نيلسين ووجده ١٥٥٠٠ قدم فوق سطح البحر. كم أتذكر جيدًا ذلك المساء، عندما كنا واقفين نتأمل في مشهد الطبيعة الرائع واثقين من أن الهواء صافٍ لدرجة أنه يمكننا رؤية أي شيء تقع أعيننا عليه، وكم أتذكر جيدًا أيضًا الدهشة التي أصابتنا أثناء رحلة العودة عندما وجدنا أن المشهد قد تغير تمامًا! ولولا جبل هيلمر هانسن، لكان من الصعب علينا أن نعرف مكاننا. ومن المحتمل أن طبيعة الجو في هذه المناطق هي من يقوم بأفظع صور الخداع. وعلى الرغم من أن الطقس كان صافيًا تمامًا في ذلك المساء، فانقلب الحال رأسًا على عقب لاحقًا ولم يكن صافيًا على الإطلاق. ومن ثمّ، فكان علينا أن نكون واعين جدًا بما نراه أو ما لا نراه. وفي معظم الحالات، تيقنّا من أن

المسافرين عبر المناطق القطبية عليهم رؤية الكثير والكثير، وحينئذ، إذا قمنا بتسجيل هذا المسار كما رأيناه أول مرة، لعلمنا أن جزءًا كبيرًا من سلاسل الجبال كان قد اختفى.

أثناء الليل هبت عاصفة من الجنوب الشرقي واندفعت حتى ارتطمت بجبال الخيمة، إلا أن الأوتاد كانت راسخة تمامًا. وفي الصباح، بينما كنا نتناول الإفطار، كان لا يزال الجو عاصفًا، وفكرنا في الانتظار لبعض الوقت، ولكن فجأة ودون أي إنذار، هدأت الريح إلى درجة جعلتنا نتنحى عن كل ما لدينا من تردد. يا له من تغيير أحدثته الريح الجنوبية الشرقية! فطبقة الثلج الهائلة التي جعلت التزحلق ممتعًا في اليوم السابق قد اختفت في ذلك الوقت من على مساحات شاسعة من سطح الأرض لتكشف عن الطبقة التحتية الصلبة. وحينئذ اتجهت عقولنا للوراء، فالنعال المعدنية الواقية من الانزلاق من على الجليد التي تركناها بدت وكأنها ترقص أمام عيناي تذهب وتأتي وهي تبتسم في وجهي وتشير إليّ بأصابعها. فكان الأمر سيتطلب القيام برحلة إضافية قصيرة وجميلة للعودة إلى منطقة الجزار لإحضار هذه الأدوات.

وفي غضون ذلك، قمنا بتجميع كل شيء وتجهيزه. ولم يكن من السهل علينا تتبع مسارات اليوم السابق، وإذا كنا فقدناها بين الحين والآخر من على السطح الثلجي الأملس، فإننا وجدناها في وقت لاحق بفضل تموج ثلجي كان قد تصدى لهجوم الريح. لقد كان ذلك عملاً شاقًا وعنيفًا بالنسبة للسائقين. فكان من الصعب جدًا على المزلاجات أن تتماسك فوق الثلج الأملس والمائل، فأحيانًا كانت تسير في خط مستقيم، إلا أنها أحيانًا أخرى كانت تسير باتجاه مائل، مما تتطلب منا عناية فائقة لوقايتها من الانقلاب. وكان علينا الحيلولة دون ذلك بكل ما نستطيع، حيث إن حقائب المؤن الرفيعة لم تكن لتتحمل الكثير من النتوءات الموجودة بالثلج، وعلاوة على ذلك، كان علينا عمل شاق لنجعل المزلاجات تستعيد وضعها المستقيم، ولهذا السبب فقط، وجب على السائقين أن يكونوا في أقصى حالات اليقظة. ومرت المزلاجات باختبار عسير في ذلك اليوم مع وضع في الاعتبار الانبعاجات الكثيرة الضخمة والصلدة التي واجهناها على الكتلة الجليدية، وكانت معجزة أنها نجت منها، كما أن ذلك كان دليلاً جيدًا على العمل الفائق الذي كان يقوم به بيالاند.

في ذلك اليوم، تسببت الكتلة الجليدية في أسوأ مشكلة عويصة واجهناها حتى ذلك الوقت. وذهبت أنا وهاسيل في المقدمة كالعادة مستخدمين الحبال. وحتى النقطة التي وصلت إليها أنا وهانسن الليلة السابقة، حققنا تقدمًا في مسيرتنا دون أي معاناة بشكل نسبي، إلا أن المرء يُسرع من خطاه أكثر عندما يعلم أن الطريق يصلح لذلك. وبعد هذه النقطة تحوّل الأمر إلى الأسوأ، وبالفعل، لقد كان ذلك في الغالب سيئًا جدًا لدرجة أننا اضطررنا إلى التوقف لوقت طويل والمحاولة في العديد من الاتجاهات قبل العثور على طريق. ولأكثر من مرة، كان علينا استخدام البلطة لتحطيم العقبات. ومرة واحدة بدت الأحوال خطيرة جدًا، شق وراء شق ونتوء بعد نتوء بارتفاع وانحدار شديدين لدرجة أنها كانت تشبه الجبال. وحينئذ ذهبنا وبحثنا في كل اتجاه للعثور على ممر، وفي النهاية عثرنا على أحد الممرات، إذا كان وبحق يجدر أن يُسمى ممرًا. كان جسرًا ضيقًا جدًا لدرجة أن عرضه كان بالكاد يلائم المزلجة، وعلى جانبيه هوة مخيفة. وذكّرني عبور هذا المكان بمَن يمشي على حبل رفيع فوق شلالات نياجارا. ومن الأمور الطيبة أنه لم يتعرض أي منا للإصابة بدوخة وأن الكلاب لم تدرك بالضبط ما هي نتيجة أي خطوة غير صائبة.

على الجانب الآخر من هذا الجسر، بدأنا نتجه للأسفل وكان طريقنا يقع حينئذ في وادٍ طويل بين تموجات مرتفعة على كل جانب. وكان علينا التحلي بمنتهى الصبر لاجتياز هذه المنطقة، حيث إن الفجوة كانت طويلة إلى حد ما وكانت تتجه إلى الغرب. وحاولنا مرات عديدة أن نجعل طريقنا ناحية الجنوب ونعبر من على جانب الجزء المتموج، إلا أن هذه المحاولات لم تنفع. وكنا نستطيع دومًا أن نصعد إلى الجسر، ولكن لم نستطع أن ننزل مرة أخرى إلى الجانب الآخر، ولم يكن بأيدينا شيء نفعله إلا أن نتبع الطريق الطبيعي للوادي حتى يأخذنا إلى المسار المتجه إلى الجنوب. وكان اختبار الصبر من أعلى مستوى بالنسبة للسائقين خصيصًا ورأيتهم بين الحين والآخر يصعدون إلى قمة الجسر ليستاؤوا مما استكشفناه أنا وهاسيل. ولكن كانت النتيجة واحدة دائمًا، فكان عليهم الاستسلام لتقلبات الطبيعة واتباع مساراتنا.

لم يكن طريقنا على طول هذا المسار الطبيعي خاليًا تمامًا من أي عائق فكانت تتخلله باستمرار شقوق ذات أبعاد مختلفة. إن الحافة أو التموج،

الذي وصلنا إلى قمته في النهاية، كان له تأثير رهيب نسبيًا. فعند الشرق انتهى بمنخفض منحدر إلى سطح الأرض الأساسي وبلغ ارتفاعه عند هذه النقطة أكثر من ١٠٠ قدم. وناحية الغرب، كان هناك المحدار متدرج إلى الأرض المنخفضة وأتاح ذلك لنا متابعة الرحلة. ولكي نحصل على رؤية أفضل للأماكن المحيطة بنا، صعدنا إلى الجانب الشرقي وهو الأقصى ارتفاعًا من الحافة، ومن هنا، أصبح الافتراض الذي احتسبناه في اليوم السابق مؤكدًا على الفور. إن الحافة التي رأيناها قبل ذلك، والتي تمنينا أن نجد خلفها أحوالاً أفضل، استطعنا في هذه اللحظة أن نرى مسارها جيدًا أمامنا. وما رأيناه آنذاك جعل قلوبنا تنبض بسرعة من الفرح. هل يمكن أن يكون ذلك السهل الأبيض الكبير والمستوي تمامًا حقيقيًا أم أنه مجرد خداع بصري؟ سيكشف الوقت ذلك.

في غضون ذلك، سرت أنا وهاسيل بسرعة وتبعنا الآخرون. وكان علينا اجتياز الكثير من المناطق الصعبة قبل أن نصل إلى تلك النقطة، ولكن، مقارنة بجميع الأماكن العسيرة التي عبرناه بالفعل، فهذه المناطق كانت خفيفة إلى حدٍ ما. ووصلنا ونحن نتنفس الصعداء إلى منطقة السهل التي كانت تبشر بالتفاؤل، ولم تكن مساحتها كبيرة جدًا، إلا أننا لم نكن أيضًا نريد أكثر من هذا بعد المسيرة التي قطعناها خلال الأيام القليلة الماضية فوق السطح غير المستوي. وعلى مسافة أبعد ناحية الجنوب، استطعنا أيضًا رؤية تكتلات ضخمة كانت قد تكونت بفعل الضغط وكانت الأماكن الفاصلة بينها كبيرة جدًا وكان سطح الأرض كتلة واحدة كاملة. وحينئذٍ، فكانت هذه هي المرة الأولى منذ أن واجهنا منطقة شيطان الثلج التي استطعنا فيها تحديد اتجاه الجنوب الحقيقي (اتجاه الجنوب الذي يحدده دوران الأرض حول محورها) لبضع دقائق.

ومع تقدمنا في السير، اكتشفنا أننا وصلنا إلى أرض ذات طبيعة أخرى، وفي هذه المرة، لم نكن أغبياء لاكتشاف ذلك متأخرًا. وليس ذلك هو أننا عثرنا على سطح مستو وغير منفصل لنسير عليه -- فسيمضي وقت طويل قبل أن نصل إلىً مثل ذلك -- إلا أننا استطعنا أن نقطع مسافات طويلة في نفس الوقت. حيث قل عدد الشقوق الصخمة بكثير وبدت مسدودة جدًا على كلا الطرفين، مما أتاح لنا إمكانية اجتيازها دون قطع مسافة طويلة من حولها. ودبت فينا جميعًا الروح من جديد، الكلاب

والأشخاص على حد سواء، واتجهنا مسرعين ناحية الجنوب. ومع تقدمنا في السير، تحسنت الأحوال أكثر فأكثر. واستطعنا أن نرى في الأفق بعض التكوينات الضخمة التي أخذت شكل القبة وبدت مرتفعة في الهواء: واكتشفنا أنها تمثل أقصى نقطة في الحد الجنوبي للشقوق الضخمة ومثلت أيضًا نقطة المرور إلى المرحلة الثالثة من الكتلة الجليدية.

كان علينا القيام بعميلة تسلق شاقة لنصعد فوق هذه القبب المرتفعة إلى حد ما والملساء بفعل الريح. وكانت تقع في طريقنا مباشرة ومن فوق قممها استطعنا أن نحظى برؤية جيدة. إلا أن السطح الذي أوشكنا على الوصول إليه كان مختلفًا إلى حد ما عن الذي رأيناه في الجانب الشمالي للقبب. وفي هذا المكان كانت الشقوق الضخمة مسدودة بالكامل بالثلج، مما أمكن اجتيازها من أي مكان. ولكن ما لفت انتباهنا كثيرًا في هذا المكان هو وجود عدد هائل من التكوينات الصغيرة التي كانت تأخذ شكل كومات القش. وباتت مساحات شاسعة على السطح خالية تمامًا، حيث لم يرَ عليها سوى الثلج الأملس.

كان واضحًا أن هذه التكوينات أو الأطوار المختلفة في الكتلة الجليدية كانت بسبب الأرض الأساسية. فالمسار الأول الذي عبرناه، حيث كانت الفوضى عارمة، لا بد أنه الجزء الأقرب من الأرض الجرداء، ونظرًا لأن الكتلة الجليدية انفصلت عن الأرض، فأصبح أقل حدة من حيث التكوينات غير المستوية: أما في منطقة التكتلات التي تشبه كومات القش، فلم تؤدِ مثل هذه التكوينات غير المستوية إلى حدوث أي تصدعات في السطح مطلقًا، ولكن ظهرت نتوءات هنا وهناك. كيف تكونت هذه التكتلات التي تشبه كومات القش وماذا تبدو من الداخل كان ما سنعرفه قريبًا. وكان شيئًا ممتعًا أننا استطعنا متابعة السير طوال الوقت بدلاً من الانعطافات والتحويلات المستمرة، فلم نضطر إلى الانعطاف جانبيًا إلا مرة أو مرتين لتفادي تكتلات كومات القش الأكبر حجمًا، وفي غير ذلك، كنا نسير في طريق مستقيم. إلا أن المساحات الشاسعة الملساء تمامًا على السطح التي كنا نمر عليها بين الفينة والفينة بدت منفصلة في كل اتجاه، ولكن التصدعات كانت ضيقة جدًا – فكان عرضها نصف بوصة تقريبًا.

واجهنا صعوبة في العثور على مكان للخيمة في ذلك المساء، حيث كان السطح كله بنفس درجة الصلابة، إلا أننا في النهاية كان علينا أن ننصبها

في الأرض الثلجية الجرداء. ولحسن حظ الأوتاد لم يكن هذا الثلج من النوعية الضخمة القوية كالفولاذ حيث كان مظهره أكثر انسيابية وليس صلدًا، مما مكّنا من غرس الأوتاد فيه باستخدام البلطة. وعندما نصبنا الخيمة، ذهب هاسيل كالعادة لإحضار الثلج للموقد. وعادة كان يقوم بهذه المهمة باستخدام سكينة كبيرة مصنوعة خصيصًا للثلج، إلا أنه في هذا المساء خرج ومعه بلطة. وكان راضيًا جدًا عن الجسم الكبير والرائع الذي عثر عليه، فلم تكن هناك حاجة لأكثر من ذلك. فخارج باب الخيمة مباشرة، بمقدار قدميْن، كانت هناك كتلة صغيرة ورائعة من الكتلات التي تشبه كومات القش وكان يبدو أنها ستؤدي الغرض تمامًا. رفع هاسيل بلطته وأعطى ضربة قوية وثابتة ولم تجد البلطة أي مقاومة، حيث انغرست للداخل حتى المقبض. وكانت الكتلة مجوفة. وعندما سُحبت البلطة انكشف الجزء المحيط واستطعت سماع صوت أجزاء الثلج وهي تتساقط من الفتحة القاتمة. وحينئذٍ، كان واضحًا أنه على بعد قدميْن من الباب حظينا بخزانة قريبة جدًا منا. نظر هاسيل كما لو أنه مستمتع بالموقف. وقال مبتسمًا "إنها سوداء كأنها كيس كبير، فلا أستطيع رؤية أي قاع لها." وكان هانسن يبتسم أيضًا، فلا شك في أنه أراد أن تكون الخيمة أكثر قربًا. وكانت المادة التي وفرتها لنا كتلة الثلج من أفضل الأنواع وكانت مناسبة جدًا لأغراض الطهي.

كان اليوم التالي، الموافق الأول من ديسمبر، يومًا متعبًا لنا جميعًا. فمنذ الصباح الباكر، هبت عاصفة معتمة من الجنوب الشرقي مصحوبة بسقوط ثلجي غزير. وكان السير في أسوأ حالاته على الإطلاق -- فكان الثلج أملس جدًا. واندفعتُ للأمام على لوح التزحلق وكانت تحركاتي سهلة نسبيًا. إلا أن السائقين اضطروا إلى خلع لوح التزحلق ووضعه مع الحمولات ليسيروا بجانبها ويوفروا الدعم المطلوب للمزلاجات، فضلاً عن مساعدة الكلاب عندما تواجه مكانًا صعبًا، وكان ذلك الحال غالبًا إلى حد ما، ففوق هذا السطح الثلجي الأملس كانت هناك مجموعة من الحيود الجليدية الصغيرة المنتشرة هنا وهناك وكانت تحتوي على نوع من الثلج ذكرني بالغراء المستخلص من السمك أكثر من أي شيء آخر عندما كانت المزلاجات تلتصق به. ولم تستطع الكلاب تثبيت مخالبها بالثلج الأملس وعندما تلتصق المزلجة بأحد هذه التموجات الصلبة الصغيرة، فلم

تتمكن من المواصلة رغم محاولاتها. وحينئذٍ كان على السائق أن يجمع كل قوته ويدفع المزلجة حتى لا تتوقف. وفي أغلب الحالات، كانت الجهود المتضامنة من الرجال والكلاب تفلح في نقل المزلجة.

أثناء فترة ما بعد الظهر، بدأ السطح مجددًا يظهر أكثر اعوجاجًا وكانت هناك شقوق ضخمة تعترض طريقنا من وقت لآخر. وكانت هذه الشقوق وبحق خطيرة إلى حد ما، ففي البداية كانت تبدو وكأنها مناسبة جدًا لأنها كانت مملوءة نسبيًا بالثلج، ولكن عندما اقتربنا منها أدركنا أنها أكثر خطورة مما كنا نتمنى في البداية. فاتضح أنه بين الثلج الرخو الموجود داخل الشق والحواف الثلجية الصلبة كان يوجد فراغ واسع إلى حد ما يؤدي مباشرة إلى القاع السحيق. وكانت طبقة الثلج التي تغطي الشق تبدو رفيعة في حالات كثيرة. وبصفة عامة لم نتوجه للسير عبر هذه الشقوق المليئة بالثلج وكانت لحظة حرجة بالنسبة لنا حتى نعبر إلى الجانب الآخر. وحينئذ وصلت الكلاب إلى السطح الثلجي الأملس ولم تستطع أن تثبت مخالبها فيه، مما جعل الأمر برمته متروكًا للسائق لنقل المزلجة. ونجحت عملية السحب القوية التي كان على السائق القيام بها في توصيله إلى الطبقة الرفيعة من الثلج. وفي ظل هذه الظروف، أمسك السائق بشدة بحبل المزلجة أو بحزام خاص تم صنعه لهذه الحالات. إلا أن المعرفة تؤدي إلى التعثر أيضًا حتى مع أقصى درجات الحرص وكثيرًا ما كان بعض السائقين على وشك السقوط إلى داخل "الهوة السحيقة."

إذا كان هذا الجزء من الرحلة مضنيًا بالنسبة للكلاب فبالتأكيد لم يكن أقل من ذلك بالنسبة للأفراد أيضًا. وإذا كان الطقس صافيًا، وتمكنا من أن نرى بعضنا، فلم نكن لنهتم بالأمر كثيرًا، ولكن العمل في هذا الطقس الموحش كان وبحق فظيعًا. بالإضافة إلى ذلك، فكان عامل الوقت مهمًا أيضًا بالنسبة لنا ونحن نواصل العمل وقد بدأت أنوفنا ووجوهنا تنشط بعد تجمدها -- فلم نتوقف عن المواصلة، حيث لم يكن لدينا وقت لذلك. وما كان علينا سوى أن نخلع أحد القفازين ونضع اليد الدافئة على المنطقة المتجمدة أثناء العمل، وعندما نظن أن البرد بدأ يذهب من هذه المنطقة، نعيد يدِنا في القفاز. في هذا الوقت، كنا نحتاج إلى الدفء. فلا يستطيع المرء أن يترك يده مكشوفة لوقت طويل ومقياس درجة الحرارة يوضح أن الحرارة أقل من الصفر بدرجات عديدة، فضلاً عن هبوب

عاصفة عاتية. وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي واجهناها، فبينت عدادات المزلاجات في ذلك المساء أن المسافة التي قطعناها بلغت خمسة عشر ميلاً ونصف. وعندما كنا في الخيمة، شعرنا بالرضا التام عن العمل الذي قمنا به خلال اليوم.

لنلقي نظرة داخل الخيمة في هذا المساء. إنها تبدو مريحة جدًا. في النصف الداخلي من الخيمة كانت هناك ثلاث حقائب للنوم شعُر مستخدموها بالراحة والاستمتاع عند الدخول فيها وكانوا حينها منهمكين في كتابة مذكراتهم. أما النصف الخارجي -- الأقرب للباب -- لم يكن به سوى حقيبتي نوم وكانت المساحة المتبقية مشغولة بجميع أدوات الطهي التي اصطحبناها معنا خلال الرحلة. وكان صاحبا هاتين الحقيبتين لا يزالان جالسيْن. كان هانسن هو الطاهي ولن ينام حتى يجهز الطعام ويتناوله الجميع. أما ويستنج فهو رفيقه ومساعده المخلص ولديه استعداد ليقدم له أي مساعدة يطلبها. ويبدو على هانسن أنه طباخ متمكن فمن الواضح أنه لا يحب أن يحترق الطعام منه، ولذلك فكان يقلب محتويات القدر بملعقته باستمرار. "الحساء!" كان للكلمة تأثير سريع جدًا. فنهض كل منا ومعه كأس في إحدى يديه وبالأخرى ملعقة. وبالتتابع حصل كل فرد على ما يُعد ألذ حساء بالخضراوات في الكأس الذي معه. وعلى الرغم من أنه كان ساخنًا جدًا، كما كان يبدو على الوجوه، إلا أنهم التهموه بسرعة مذهلة. وامتلأت الكؤوس مرة أخرى، ولكن هذه المرة بطعام أكثر تماسكًا. إلا أنهم التهموا محتوياته أيضًا بسرعة خاطفة وتم ملؤها للمرة الثالثة. ليس هناك ما يسد رمق هؤلاء الرجال. وتم وضع الكؤوس في مكان مناسب وبدأت متعة الخبز والماء. ومن خلال الفرح الذي بدا على وجوههم، كان من السهل أن تلاحظ أن ذلك كان ممتعًا لهم أيضًا -- بل أفضل مما قد تقدمه ألذ قائمة طعام مجهزة بعناية وبعدها، تناولوا قطع البسكويت في جو مرح. بالنسبة للماء -- الماء البارد كالثلج الذي كان يريده الجميع -- فشربوا منه كميات كبيرة أيضًا، حيث قدم لهم متعة ورضا أكثر بكثير من أطيب الخمور التي أنتجت على مر العصور، وهو ما استطعت تأكيده من تعبيراتهم. وكان موقد الطهي يصدر طنينًا هادئًا أثناء الوجبة كلها وكانت درجة الحرارة ملائمة فعلاً داخل الخيمة.

عندما انتهينا من الطعام، طلب أحد الأشخاص مقصًا ومرآة، وحينها رأيت مستكشفي القطب يصففون شعورهم استعدادًا ليوم الأحد الذي بات قريبًا. في المساء في كل يوم من أيام السبت، يتم تهذيب اللحية بماكينة قص الشعر، ولا نقوم بهذا الأمر بدوافع الإعجاب بقدر ما أنها أمور نفعلها بغرض الراحة والملاءمة مع العمل. فيتجمع الثلج داخل اللحية، مما يسبب ارتباكًا شديدًا لنا في أحيان كثيرة. وبالنسبة لي، فأرى أن اللحية في المناطق القطبية شيء فظيع وغير عملي مثل – دعنا نقول السير وعلى كل قدم من قدميك جسم طويل. وفور الانتهاء من استخدام ماكينة تهذيب اللحية والمرآة، تم حفظهما داخل الحقيبة، وبعد أن تمنى الأفراد الخمسة نومًا هادئًا للجميع، كان الهدوء غامرًا داخل الخيمة. وفور الإحساس بالراحة شعرنا بالرضا عن العمل الذي قمنا به خلال اليوم. وأثناء ذلك، هبت العاصفة الجنوبية الشرقية وبدأ الثلج يرتطم بالخيمة. والتفت الكلاب حول نفسها كما بدا أنها لا تريد أن تواجه المتاعب بسبب الطقس.

استمرت العاصفة دون هدوء على مدار اليوم التالي، وبسبب طبيعة الأرض الخطيرة قررنا الانتظار لبعض الوقت. وخلال الصباح -- من المحتمل قبيل الظهيرة -- هدأت حدة الريح قليلاً، مما دفعنا للخروج. وكانت الشمس تبزغ أحيانًا واغتنمنا هذه الفرصة لتحديد الارتفاع الذي كنا عليه -- حيث كان ٨٦ درجة ٤٧ دقيقة جنوبًا.

وفي هذا المخيم، تركنا جميع ملابسنا الرائعة المصنوعة من جلد الرّنَة، حيث رأينا أنها ستكون بلا فائدة لأن درجة الحرارة كانت مرتفعة جدًا. إلا أننا احتفظنا بغطاء الرأس الخاص بالمعاطف المصنوعة من جلد الرّنَة، فقد نستفيد منها جيدًا أثناء السير في مواجهة الريح. ولم تكن المسيرة التي قطعناها خلال اليوم طويلة، كما أن الهدوء الطفيف في شدة الريح في منتصف اليوم لم يكن سوى مزحة. فعلاجلاً هبت الريح بكل قوتها من جديد في عاصفة كاسحة من نفس الزاوية -- الجنوب الشرقي. وإذا كنا نعلم طبيعة الأرض، لكان من الممكن أن نواصل الطريق، ولكن لم تكن هناك فائدة من ذلك في ظل هذه العاصفة والثلج المندفع الذي جعلنا نغلق أعيننا باستمرار. فقد تقع حادثة خطيرة وتدمر كل شيء. وكان إجمالي المسافة التي قطعناها ميلين ونصف. وكانت درجة الحرارة عندما خيّمنا –

٥٨ درجة بمقياس فهرنهايت. وكنا على ارتفاع ٩٧٨٠ قدمًا فوق سطح البحر.

أثناء الليل، تغير اتجاه الريح من الجنوب الشرقي إلى الشمال وسطع النور في المكان وأصبح الطقس صافيًا. وكان هذا بمثابة فرصة جيدة لنا ولم نتوانَ في اغتنامها. وكان أمامنا سطح ثلجي يرتفع تدريجيًا وكان لامعًا كالمرآة. وكما فعلتُ في الأيام السابقة، اندفعت للأمام على لوح التزحلق، بينما كان الآخرون، غير مستخدمين لوح التزحلق، يتبعون الطريق ويوفرون الدعم للمزلاجات. وكان بالسطح شقوق مملوءة بالثلج أيضًا، ولكن ربما بأعداد أقل مما صادفناه من قبل. وأثناء ذلك، بدأت مساحات صغيرة من الثلج تظهر على السطح اللامع وعاجلاً زاد عددها وحجمها، ولم يمضِ وقت طويل حتى اندمجت مع بعضها وغطت الجليد غير الملائم بطبقة ثلجية مستوية ومناسبة للسير عليها. وحينئذ، استخدمنا لوح التزحلق مرة أخرى وتابعنا طريقنا إلى الجنوب ونحن راضون عما قمنا به.

كنا جميعًا سعداء بأننا حينئذ قد تغلبنا على هذه الكتلة الجليدية الغادرة وهنئنا أنفسنا على وصولنا في النهاية إلى الهضبة الحقيقية. وأثناء سيرنا على طول الطريق بسعادة، ظهرت فجأة حافة أمامنا مباشرة لتخبرنا بوضوح أن جميع أحزاننا ربما لم تنتهِ بعد. وبدأت الأرض تنغمر قليلاً وعندما اقتربنا أكثر، استطعنا رؤية أنه علينا عبور وادٍ واسع إلى حد ما ولكن ليس عميقًا قبل أن نصل إلى أسفل الحافة. وظهرت على كل جانب مجموعات ضخمة من النتوءات وقطع الثلج التي تأخذ شكل كومات القش، وعلمنا حينها أنه علينا أن نبقي أعيننا مفتوحة.

وفي هذا الوقت وصلنا إلى مكان في الكتلة الجليدية أطلقنا عليه اسم ساحة الشيطان. وتدريجيًا اختفت طبقة الثلج التي سعدنا بها كثيرًا ووجدنا أنفسنا أمام هذا الوادي الواسع – لقد كان أرضًا جرداء لامعة. وفي البداية كان سطحه جيدًا بما يناسب رحلتنا، ولأنه كان ينحدر للأسفل، فكنا في طريقنا إلى مكان جيد على الثلج الأملس. وفجأة، تعثرت مزلجة ويستنج في السطح وانقلبت على جنبها. وعلمنا جميعًا ما حدث -- فإحدى البكرات علقت في شق. بدأ ويستنج العمل وساعده هاسيل في رفع المزلجة وإخراجها من الموضع الخطير الذي وقعت فيه، وأثناء ذلك أخرج بيلاند كاميراته وكان يجهزها. ونظرًا لأننا معتادون على هذه الحوادث،

فوقفت أنا وهانسن نشاهد المنظر من مكان بعيد قليلاً أمامهم كنا قد وصلنا إليه عندما وقعت الحادثة. ولأن عملية التصوير استمرت لوقت طويل إلى حد ما، فافترضت أن الشق كان مملوءًا بالثلج ولم يمثل أي خطر جسيم وأن بيالاند أراد أن يحتفظ بذكرى لنفسه بين الصور التي التقطها للشقوق الكثيرة والمواقف العويصة التي تعرضنا لها. ونظرًا لأن الشق كان مسدودًا، فلم تكن هناك بالطبع أي حاجة للاستعلام عن الأمر. إلا أنني ناديتهم وسألتهم كيف كان يجري الأمر. وكان الرد هو "آه، على ما يرام، لقد انتهينا للتو." -- "كيف يبدو الشق؟" -- وأجابوا بصوت عال "آه، كالعادة لا قاع له." إني أذكر هذه الحادثة الصغيرة ليس إلا لأوضحَ كيف يصبح المرء معتادًا على أي شيء في هذا العالم. فكان هناك هذان الاثنان -- ويستنج وهاسيل -- أمام فتحة واسعة لا قاع لها ويتم تصويرهما دون أن يفكر أي منهما في الجانب الخطير لهذا الموقف. وحسب الضحك وتعبيرات المزاح التي سمعناها، لظن المرء أنهما في مكان مختلف حقًا.

عندما أنهى المصوّر عمله بهدوء وتمهل -- علمًا بأنه التقط صورة رائعة جدًا للمشهد -- رفع الرجلان الآخران المزلجة معًا واستأنفنا الرحلة. وعند هذا الشق دخلنا إلى ساحته المبجلة. ولم يكن السطح حقًا سيئًا جدًا. وفي الحقيقة، كانت الريح قد أزاحت الثلج من على السطح، مما جعل من الصعب علينا المتابعة، ومع ذلك، فلم نرَ الكثير من الشقوق. وكان هناك الكثير من التكتلات التي تكوّنت بفعل الضغط، كما ذكرت بالفعل، ولكن أيضًا في المنطقة المجاورة لها لم نرَ أي علامة على أي عقبة. وكانت أول علامة على أن السطح كان أكثر غدرًا عما ظهر لنا سابقًا هي عندما انزلقت كلاب هانسن الأمامية إلى أسفل السطح الذي بدا صلبًا جدًا. وظلت معلقة بأحزمة الجر الخاصة بها، ولذلك فاستطعنا أن نسحبها مرة أخرى بسهولة. وعندما نظرنا في الفتحة التي صنعتها الكلاب في القشرة الخارجية، لم تعطنا انطباع أنها خطيرة جدًا، فكان عمقها قدمين أو ثلاثة أسفل القشرة الخارجية، كما كان هناك سطح آخر بدا مكونًا من ثلج مكسر. وافترضنا أن هذا السطح السفلي هو السطح الصلب، ومن ثمّ، فلم يكن هناك أي خطر في السقوط من خلال السطح العلوي. ولكن بيالاند كان قادرًا على إخبارنا بقصة مختلفة. ففي الحقيقة، سقط من خلال

الطبقة الخارجية وكان في طريقه إلى اختراق السطح الداخلي أيضًا عندما تشبث في حلقة من الحبل المربوط في مزلجته وأنقذ نفسه في الوقت المناسب. وعلى مر الوقت كانت الكلاب تسقط تارة وكان الأفراد يسقطون تارة أخرى. وتمثل تأثير المسافة الفارغة بين الطبقتين في أن الأرض من أسفل أقدامنا كانت تبدو مجوفة بشكل مخيف ونحن سائرون فوقها. وحفز السائقون كلابهم على السير بكل ما لديهم من طاقة، ومع الصيحات المنطلقة والتشجيع المتزايد انطلقوا بسرعة على السطح الغادر. ولحسن الحظ أن مساحة هذا المكان الغريب لم تكن كبيرة وبعد فترة قصيرة بدأنا نلاحظ تغيرًا تجاه الأحسن عندما وصلنا إلى الحافة. وبعد مرور وقت قصير أيضًا، كان من الواضح أن الساحة كانت هي آخر ما ودعناه على الكتلة الجليدية. وبمرورها، انتهت كل العقبات وبات كل من السطح والطريق أفضل بكثير، مما جعلنا نشعر بالرضا بسرعة عندما رأينا أنه في النهاية قد تغلبنا على كل هذه الصعاب البغيضة. وفي الحال أصبح السطح سلسًا ومستويًا مع طبقة كبيرة من الثلج تغطي المكان كله، مما جعلنا نسلك طريقنا بسرعة إلى الجنوب ونحن نشعر بالأمان والسلامة.